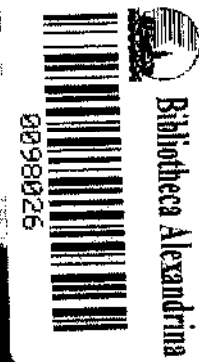




الحسان عبد القدوس



أشهر الروايات



رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سمحه

دار أخبار اليوم

قطاع الثقافة

جمهورية مصر العربية : ٦ شارع الصحافة - القاهرة

تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

أخبار اليوم

رئيس مجلس الإدارة:

ابراهيم سعدة

قطاع الثقافة أخبار اليوم قطاع الثقافة أخبار اليوم

أخبار اليوم قطاع الثقافة أخبار اليوم قطاع

قطاع الثقافة أخبار اليوم قطاع الثقافة

آسف لم
أعد استطيع

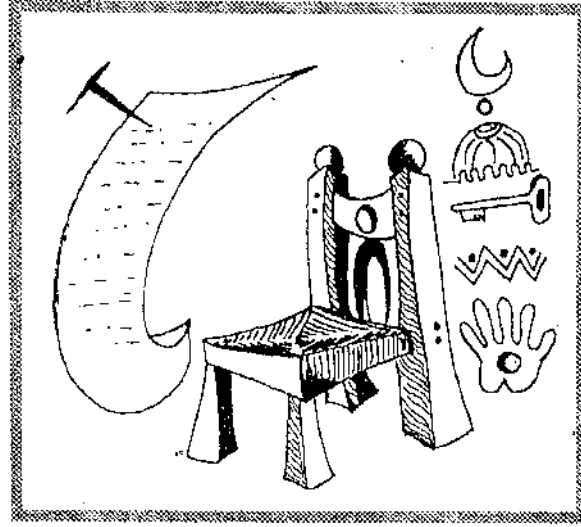
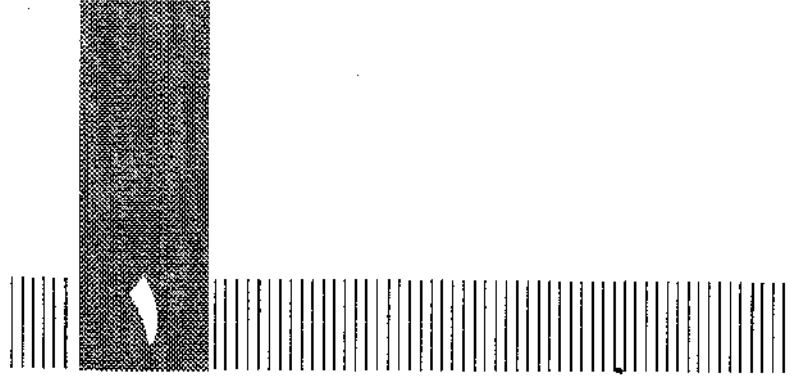
احسان عبدالقدوس

أسف لم أعد أستطيع

٧ قصص قصيرة .. رسالة

- هل قرأ عبد الناصر الرسالة
- المراقصة والطبال
- قبل الوصول إلى سن الانتحار
- أسف لم أعد أستطيع
- كان يعيش مع لسانه
- الزججات الفارغة
- قبل أن تخرج الحقيقة من الباب
- شباك كلها ثقبوب

إحسان عبدالقدوس



هذه أقوال عبد الناصر

الرسالة؟

هل قرأ عبد الناصر

الرسالة ؟

كانت التهمة هي :

● الجنس

● الالحاد

اكتشفت خطابا كتبته لجمال عبد الناصر ١٩٥٥ ..

ودهشت ..

فلننى لا أذكر أبدا أننى كتبت خطابا لأى رئيس جمهورية ، ولعل هذا الخطاب هو الوحيد الذى كتبته ثم نسيت به إننى لا أذكر إذا كنت قد أرسلته إلى جمال عبد الناصر فعلا ، أم أننى اكتفيت بكتابتها ثم ألقيت به فى درج النسيان ..

ومع قراءة الخطاب بدأت ذاكرتى الضعيفة التى تعذبني بضعفها تستيقظ فتذكر ملامح تبدو باهتة من وراء عشرين عاما مضت .. كانت الصحافة أيامها لم تؤمم بعد وكانت الرقابة المفروضة عليها ثقيلة عنيفة ، وكنت أنا صاحب روز اليوسف وحتى أهرب بنفسى وبرز اليوسف من ثقل الرقابة كمشيت صفحاتها السياسية وفتحت صفحات أوسع للمواد الاجتماعية والأدبية .. وهو نفس السبب الذى جعلنى أيامها أطالب بتأميم الصحافة لأن الرقابة كانت قد وصلت إلى حد أن أصبحت الصحف أقرب فعلا إلى ملكية الدولة ..

وكنا أيامها نتحمل كل هذا الثقل لأن الثورة كانت تخطو خطوات ناجحة قسوية وكان عبد الناصر في أزهى انتصاراته بعد تأميم القناة وفشل الاعتداء الثلاثي حتى أصبح الكثيرون منا يعطونه الحق في كل شيء حتى في فرض هذه الرقابة العنيفة .. ان النجاح يبرر كل الأخطاء ..

وكانت لقاءاتى الشخصية بعبد الناصر قد تباعدت كما تتباعد دائما مع أى رجل مسئول لأنى غالبا لا أستطيع أن أساهم في تغطية مطالب المسئولين ، وأصبحت آرائه الخاصة فيما ينشر بـروز اليوسف تصلنى أما عن طريق الرقابة أو عن طريق أصدقاء مشتركين ..

وعبد الناصر رغم ما كان عليه من تفتح فكري كان في أحيان كثيرة يبدو متحفظا إلى حد التزمّت في اختيار الكلمة التي تقال والموضوع الذي يبحث حتى خارج مجال السياسة ، ولذلك فعندما تعمّدت إهمال السياسة والتفرغ للأدب لم أسلم من تزمّت عبد الناصر .. وقد سبق أن رويت كيف اعترض على كلمة «الحب» عندما كنت أكررها في الإذاعة قائلا في نهاية كل حديث «تصبحوا على خير .. تصبحوا على حب» وعرض على أن أستبدلها بكلمة «محبة» أى أقول «تصبحوا على محبة» ولكنى اعتذرت وقلت له أنى أحاول أن أفرض استعمال كلمة «حب» بمعناها الصحيح ، وتوقفت أيامها عن حديث الإذاعة وإلى اليوم .. وعبد الناصر بدأ يستعمل كلمة «حب» ..

ويبدو أن عبد الناصر أيامها كان يقرأ قصص «البئات والصيف» التي كنت أنشرها في روز اليوسف فأرسل لى عدم موافقته على ما ينشر أو على الأقل عدم رضائه .. وفي الوقت نفسه كنت قيد فتحت في روز اليوسف صفحات للأبحاث الدينية ، وكان زميلى الدكتور مصطفى محمود في مرحلة معينة من مراحل فكره الدينى وكان ينشر

دراسات دينية اعترض عليها أيضا جمال عبد الناصر .. ولعلني عندما أبلغت بهذه الاعتراضات رأيت أن أرد عليها برسالة بدلا من الاعتماد على نقل الكلام عن طريق الأصدقاء ، وهى الرسالة التى لا أدرى ولا أذكر إذا كنت قد أرسلتها إلى عبد الناصر فعلا أم احتفظت بها فى درج النسيان .

وقد رأيت أن أنشر اليوم هذه الرسالة ، لا لأساهم بها فى موجة نشر الذكريات والمذكرات ، فليس لى مذكرات لم تنشر ، كل مذكراتى أنشرها وما أعجز عن نشره فى مقال أنشره فى قصة وألبسه لشخصية أخرى من خيالى .. وإنما أنشر هذه الرسالة لأنها ترد على ضجة قامت حول قصة من القصص المنشورة ضمن هذه المجموعة من القصص ، ولأنها تغبر عن نقاش لا يزال يدور بيننا حتى اليوم ، وعن مواضيع لم نجد لها بعد عشرين عاما حلا ولا أمانا إنما ازددنا ضياعا وغرقنا فيها حتى أطراف أنوفنا ..

وهذه هى الرسالة كما كتبتها منذ عشرين عاما ..



السيد الرئيس جمال عبد الناصر

عزيزى السيد الرئيس

تحية حب وشوق ..

أبلغنى صديقى «الأستاذ هيكى» رأى سيادتكم فى مجموعة القصص التى نشرتها أخيرا بعنوان «البنات والصيف» وقد سبق أن أبلغنى نفس رأى السيد حسن صبرى مدير الرقابة واتفقت معه على تعديل الاتجاه الذى تسير فيه قصصى ..

ورغم ذلك فانى أريد أن أشرح لسيادتكم الدافع والهدف اللذين يدفعاننى إلى كتابة قصصى لأدفاعا عن نفسى ، بل فقط لأكون قد أبلغتكم رأىي :

أنا لا أكتب هذه القصص بدافع الربح المادى ، فانى مازلت أقل كتاب القصص ربحا ، ولا أكتبها بدافع الرغبة فى رفع توزيع المجلة ، فقد كنت أكتب هذه القصص فى الوقت الذى لم تكن المجلة فى حاجة إلى رفع توزيعها . وقبل الثورة ، عندما كنت أكتب فى قضية الأسلحة الفاسدة وأثير حملاتى على النظام القائم ، وكان عدد «روز اليوسف» الواحد يباع بعشرين قرشا .. فى نفس هذا الوقت كنت أكتب قصة «النظارة السوداء» وأنشرها مسلسلة ، وهى قصة تصور مجتمع المتمصرين تصويرا صريحا جريئا .

وإذا كان رفع توزيع المجلة يعتمد على نشر القصص المسلسلة ، فان القصص الاجتماعية الصريحة ليست وحدها التى ترفع التوزيع ، وقد سبق أن نشرت فى «روز اليوسف» قصة «فى بيتنا رجل» وهى قصة وطنية خالصة ليس فيها مشكلة حب ولا مشكلة جنس ، ورغم ذلك فقد رفعت هذه القصة من توزيع المجلة ، أكثر مما رفعت قصة «لا أنام» مثلا التى تدور حول مشكلة عاطفية ، وذلك كما هو ثابت فى كشوف توزيع المجلة ..

فأنا لا أتعمد اختيار نوع معين من القصص ، أو اتجاه معين .. ولكن تفكيرى فى القصة يبدأ دائما بالتفكير فى عيوب المجتمع ، وفى العقد النفسية التى يعانىها الناس ، وعندما انتهى من دراسة زوايا المجتمع أسجل دراستى فى قصة .. وكل القصص التى كتبتها كانت دراسة صادقة جريئة لعيوب مجتمعنا ، وهى عيوب قد يجهلها البعض ولكن الكثيرين يعرفونها .. وهى عيوب تحتاج لجرأة الكاتب حتى يتحمل مسئولية مواجهة الناس بها .. ومنذ سنين عديدة ، وجدت فى نفسى الجرأة لتحمل هذه المسئولية ..

والهدف من ابراز هذه العيوب هو أن يحس الناس بأن أخطاءهم ليست أخطاء فردية، بل هى أخطاء مجتمع كامل .. أخطاء لها أسبابها

وظروفها في داخل المجتمع .. ونشر هذه العيوب سيجعلهم يسخطون ، وسيؤدى بهم السخط إلى الاقتناع بضرورة التعاون على وضع تقاليد جديدة لمجتمعنا ، تتسع للتطور الكبير الذى نجتازه ، وتحمى أبنائنا وبناتنا من الأخطاء التى يتعرضون لها نتيجة هذا التطور .. وهذا هو الهدف الذى حققته قصصى لقد بدأ الناس يسخطون ، ولكنهم بدل أن يسخطوا على أنفسهم ، وبدل أن يسخطوا على المجتمع ، سخطوا على الكتاب .. أى سخطوا على أنا .. ولكنى كنت مؤمنا بأن مع استمرارى وتصميمى سينقلب السخط على ، إلى سخط على عيوب المجتمع ، ومن ثم يبدأ الناس فى التعاون على إصلاح ما بأنفسهم .

وإن ما أراه ياسيدى الرئيس فى مجتمعنا لشيء مخيف .. أن الانحلال ، والأخطاء ، والحيرة ، والضحايا .. كل ذلك لم يعد مقصورا على طبقة واحدة من طبقات المجتمع بل امتد إلى كل الطبقات .. وحتى الطبقة الثورية بدأ الجيل الجديد منها ينحدر إلى مجتمع الخطايا .. وأصبحت البيوت المستقرة التى تقوم على الخلق القوى والتقاليد القويمة ، بيوتا لا تمثل مجتمعنا بل تمثل حالات فردية متناثرة هنا وهناك ..

وقد أبلغنى صديقى هيكى أن سيادتكم قد فوجئت عندما قرأت فى إحدى قصص «البنات والصيف» ما يمكن أن يحدث داخل الكباشين على شواطئ الإسكندرية .. والذى سجلته فى قصصى ياسيدى الرئيس يحدث فعلا .. ويحدث أكثر منه .. ويوليس الآداب لن يستطيع أن يمنع وقوعه ، والقانون لن يحول دون وقوعه .. إنها ليست حالات فردية — كما قلت — إنه مجتمع .. مجتمع منحل .. وإن يصلح هذا المجتمع إلا دعوة .. إلا انبثاق فكرة ، تنبثق من سخط الناس ، كما انبثقت ثورة ٢٣ يوليو .. لهذا أكتب قصصى ..

وفى جميع فترات التاريخ كان هذا هو دور كتاب القصة .. وقد كان

الكاتب الفرنسي «بلزاك» يكتب قصصا أشد صراحة من قصصى .. قصصا تدور في مخادع بنات الداخلية في المدارس ، وفي أقبية الرهبات والراهبات في الأديرة ، وفي القصور والأكواخ .. وثار الناس على بلزاك في عصره ، ولكنه اليوم يعتبر مصلحا اجتماعيا ، وقصصه تترجم بالكامل في الاتحاد السوفيتي ، حيث يعتبر هناك أحد المعاول التي هدمت الطبقات الاجتماعية المنحلة .. وغيره كثيرون من كتاب القصة ، مهدوا بقصصهم للإصلاح الاجتماعى .. وبين كتاب العصر الحديث أيضا تقوم قوة الكاتب على قدرته على إبراز العيوب الاجتماعية ، دون أن يطالب بوضع العلاج لها . إن مهمته تقتصر على «التشخيص» أى على إبراز المرض ونتائجه .. ألبرتو مورافيا في إيطاليا وجان بول سارتر في فرنسا وهيمانجواي وفولكنر في أمريكا .. و .. و .. وغيرهم عشرات كلهم يكتبون قصصا أكثر صراحة وبشاعة من قصصى .. ورغم هذا فهم يرشحون لجائزة نوبل ..

وحاول كثيرون من الكتاب في مصر أن يحملوا هذه المسؤولية .. المازنى في قصته «ثلاثة رجال وامرأة» وتوفيق الحكيم في قصته «الرباط المقدس» .. و .. و .. ولكن ثورة الناس عليهم جعلتهم يتراجعون .. وظهرت الطبقة التى تليهم من كتاب القصص ، فتعرضوا لتصوير عيوب المجتمع وأخطائه وعقده الجنسية ، ولكنهم صوروها بعيدا عن الجو الواقعى فلم يتأثر الناس بها ، أو صوروها داخل الطبقة التى لا تقرأ .. الطبقة الفقيرة .. فلم تحس بها الطبقة القارئة لأن كل طبقة تعتبر الطبقة الأخرى عالما وحده .. عالما بعيدا لا يهملها ما يجرى فيه ..

وكل ما فعلته أنا بعد ذلك ، هو أنى تحملت المسؤولية بما فيها مسئولية سخط الناس على ، واعتقدت - سواء خطأ أم صوابا - أن قصصى تؤدي دورا في التمهيد لإصلاح المجتمع ، بتجسيم عيوبه ..

لعل سيادتكم تذكر أنى قد حادثتكم كثيرا عن الدور الكبير الذى يمكن أن يؤديه الأدب القصصى ، وساهمت تحت رعايتكم بمجهود كبير فى تنشيط الحياة الأدبية فى مصر ، سواء بتجميع الأدباء والكتاب فى الهيئات الأدبية المختلفة أو برفع مستوى كاتب القصة المادى والأدبى ولم يكن لى أى كسب شخصى من وراء هذه الجهود ولم أحقق فعلا كسبا أدبيا ولا كسبا ماديا ، بل إن دار روز اليوسف خسرت ثلاثة آلاف جنيه فى مشروع الكتاب الذهبى ، نتيجة نشر قصص الناشئين .. لم يكن لى أى غرض إلا الجرى وراء إيمانى ..

يبقى بعد هذا ما حدثنى به الزميل هيكى ، عن دعوة الالحاد فى صحف دار روز اليوسف والمقالات التى ينشرها مصطفى محمود .. وقد أوقفت نشر مقالات مصطفى محمود الخاصة ببحث فلسفة الدين ، ولكنى أحب أن أرفع إلى سيادتكم رأبى فى هذا الموضوع ، حتى أكون قد صارحتكم بكل شىء ..

إنى مؤمن بالله ياسيدى الرئيس .. لست ملحدا .. ولعلك لا تعرف أنى أصلى .. ولا أصلى تظاهرا ولا نقابا ، فإن جميع مظاهر حياتى لا تدل على أنى أصلى .. ولكنى أصلى لأنى أشعر بارتياح نفسى عندما أصلى ..

ورغم ذلك فإنى أعتقد أن ديننا قد طغت عليه كثير من الخزعبلات والآترية ، والتفسيرات السخيفة ، التى يقصد بها بعض رجال الدين إبقاء الناس فى ظلام عقلى حتى يسهل عليهم .. أى على رجال الدين - استغلال الناس والسيطرة عليهم .. فى حين أنه لو تطهر الدين من هذه الخزعبلات ، ونفضنا عنه هذه الآترية ، لصح ديننا ، وصحت عقولنا ونفوسنا ، وسهل على قيادتكم أن تسير بالشعب فى الطريق الذى رسمته له ..

ومن أجل هذا ، بدأت منذ زمن طويل أنشر فى روز اليوسف مقالات تبحث فى الدين .. ولم أكن أنا أشارك بقلمى فى هذه المقالات لأنى لست

رجل دين ، ولكنى دعوت إليها فريقاً من رجال الدين المتحررين ، ومن الكتاب الذين أعتقد أنهم درسوا وقرأوا إلى الحد الذى يتيح لهم الكتابة فى الدين .. وقد سبق - مثلاً - أن نشر الدكتور محمد خلف الله مقالا فى روز اليوسف يؤكد فيه أن القرآن لا يمنع زواج المسلمة من الكتابي .. أو من المسيحي .. وهى دعوة جريئة ، ولكن الدكتور خلف الله أستاذ فى الدين ودراسته وعلمه تخول له أن يحمل مسئولية مثل هذه الدعوة .. و .. و .. وهكذا كنت أعطي الفرصة لكثير من الكتاب ليبحثوا فى أمر الدين ، معتقداً أن فتح هذا الباب سيؤدى حتماً إلى رفع مستوى الايمان الدينى .. وقد وقع كثير من الأخطاء نتيجة فتح الباب لمقالات مصطفى محمود مثلاً ، ولكن لا شك أننا خرجنا بجانب هذه الأخطاء بمقالات قيمة كان لها أثر كبير فى التفكير الدينى .. وكان آخر ما حاولته هو أنى حاولت تصفية الأحاديث النبوية ، ودثر الأحاديث التى لا يمكن أن تنسب إلى نبينا كحديث «خير اللحم ما جاور العظم» أو «الذبابة على أحد جناحيها داء وعلى الآخر دواء» .. و .. الخ .. وهى للأسف أحاديث معترف بها وتنشر فى المجلة التى تصدرها وزارة الأوقاف .. فدعوت أحد علماء الأزهر ، وكتب مقالا عن الأحاديث النبوية ، حذفته الرقابة ..

وهذا هو الهدف والدافع اللذان يدفعاننى إلى التعرض للمواضيع الدينية .. لا لأنى ملحد بل لأنى مؤمن ، ولأنى أعتز بإيمانى من أن يكون إيماننا لا يقره عقلى .. وبعد يا سيدى الرئيس ..

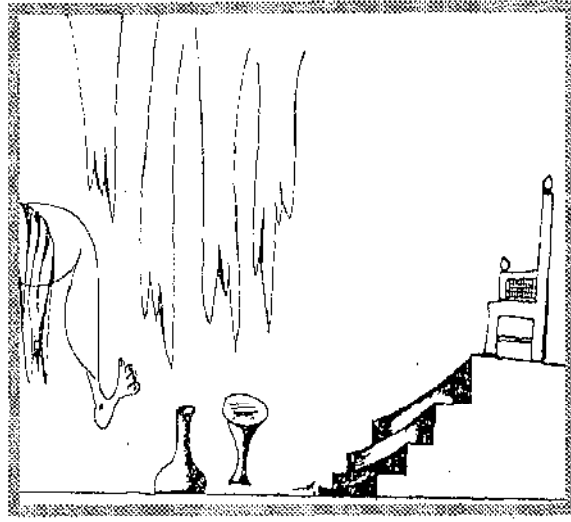
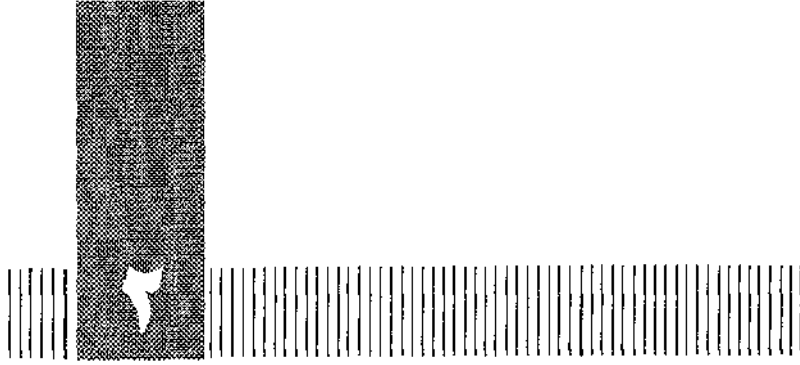
إن كل ما قصدته بخطابى هذا هو أن أظل محتفظاً بثقتك فى .. وأنا محتاج إليك كسند وأخ .. وقد عشت حياتى كلها أشعر بالوحدة بين الناس ، وأكافح وحدى ضد دسائس الناس وظلمهم لى ، دون أن آخذ من كفاحى شيئاً إلا استمرارى فى الكفاح ..

المخلص

إحسان عبد القدوس

هذه هى الرسالة التى كتبها عام ٥٥ لجمال عبد الناصر وبين كلماتها ما يعبر عن مدى ثقتنا فيه وحبنا له فى هذه الفترة .. فترة الخمسينات التى وصفها الرئيس السادات بأنها كانت فترة الانتصارات وقبل أن تبدأ فترة الستينات والتى وصفها السادات بأنها فترة الهزائم والتى أخذت منا كثيرا من الحب الذى كان يجمعنا بعبد الناصر ..

وما قلته أيامها فى هذه الرسالة هو نفس ما أقوله ويقوله معي الكثيرون إلى اليوم .. حدود أدب القصة وحدود الفكر الدينى .. فأننا مازلنا فى نفس الحدود لم نتقدم ولا خطوة واحدة طوال عشرين عاما مضت .



الراقصة

والطبال

الراقصة

والطبال

جلس عبده الطبال بجانب خشبة المسرح في حديقة ملهى «ليالى
الانس» بشارع الهرم وهو يمسح بكفه فوق جلد الطبله كأنه يدلل
قطته الاليفة وبين شفثيه ابتسامه مسكينة ساخرة كأنه يسخر بها
من الدنيا كلها ومن نفسه ..

إنها ليلة أخرى من ليالى العمر الطويل .. سيصعد بعد قليل فوق
خشبة المسرح ويجلس على آخر مقعد من مقاعد الموسيقيين .. إن
نصيبه دائما هو آخر الصف .. آخر الطابور .. إنه هو وطبلته
يوضعان دائما في مكان الذيل كأن كل مهمتهما أن يهتزا عندما يصدر
لهما أمر بالاهتزاز كذيل الكلب عندما يهتز ليعبر عن مزاج صاحبه ..

وسيبدأ في تقديم اللحن الذى تعزفه الفرقة الموسيقية بنقرات
عنيفة على الطبله لا تتجاوز مدتها عشرين ثانية كأنه جرسون في
المقهى يصيح بطبلته .. أيوه أنا جاي .. كله يسمع .. وبعدها تبدأ
الفرقة في عزف الدور ثم تسكت لينفرد عازف الناي بتقاسيم
موسيقية .. ويصفق الجمهور لمرتضى عازف الناي .. ثم يعود اللحن
الجماعى حتى ينفرد عازف القانون بمقطوعة موسيقية .. ويصفق
الجمهور لحسنين عازف القانون .. ثم ينفرد الكمان ويصفق لمختار
عازف الكمان .. ويصفق الجمهور لأشرف عازف الجيتار عندما

يتفرد بالعزف .. ثم يصفقون لمجدي عازف الأورج .. إلى أن تظهر الراقصة علوية .. وهنا تصبح المسئولية كلها هي مسئولية الطيلة .. وعلوية لا ترقص إلا على دقة «مصمودى» .. إن كل راقصة تختار دقتها .. دقة «مقسوم» أو دقة «ملفوف» أو دقة «مصمودى» .. وكلهن لا يختلفن في التعبير بالرقصة ولكن كلاً منهن تصر على أن تختار لنفسها دقة كأنها تقدم بطاقتها الشخصية .. «صعيدى» والللا بحيرى والللا الهوى رماك» وهو مضطر أن يبذل كل ليلة مجهوداً كبيراً مع علوية .. أنها تتميز بتباعد غريب بين احساسها وأذنيها .. وهى تحرك جسدها أثناء الرقص باحساسها لا بأذنيها .. واحساسها متعلق بالجمهور الذى أمامها .. بطنها يتقلص وينفرد ، وساقها تضيقان وتنفتحان ، وصدرها يصعد وينزل حسب احساسها ليلتها بنوع الجمهور .. هل هو جمهور أغليته من سياح البلاد العربية أم أغليته من العائلات أم أغليته من الطيلة .. وكم عدد شبيحة وفترات شارع الهرم الموجودين ليلتها .. وهل وصل صديقها المعلم عبد الستار المملوف تاجر الخردة قبل الراقصة أم لم يصل بعد .. كل هذا يشكل أحاسيسها ويحدد هزات جسدها وهى ترقص دون أن ترتبط أذناها بالموسيقى التى تعزف لها ولا بدقات الطيلة فتضطر الطيلة أن تتبعها وتلاحقها بدلاً من أن تكون هى التى تتبع وتلاحق الطيلة .. إن علوية بلا أذنين موسيقيتين وهى لهذا لا يمكن أن تكون لها قيمة كراقصة .. انها مجرد شىء يتحرك ويهتز .. قد تكون غزالاً أو جاموسة أو قطار سكة حديد .. ورقصتها تطول وتقصر وفقاً لاحساسها وتقديرها لقيمة النقاط .. وتظل ترقص حتى تفقد الأمل فى تلقى أى قرش آخر .. وتأخذ النقاط وتلقى به فى صدرها أو تلقى به أمام عازف القانون أو تلقى به فى يد عبده الطيال .. ولا أحد يعد ما يتلقاه من قيمة النقاط .. الذى يعد ويحسب هو صاحب الملهى انه جالس بعيداً يعد كل قرش

من قروش النقوط حتى وهو طائر في الهواء أو وهو في صدر علوية ..
وبعد الرقصة لا يستطيع أحد أن يحتفظ لنفسه بمليم واحد .. صاحب
الملهى يجتمع بهم وهو يخلق فيهم كأنه يفتش جيوبهم ثم يجمع
قيمة النقوط ويأخذ ثلثها لنفسه ، ويترك الثلث للراقصة أو الفنان ،
والثلث الأخير للعازفين بالفرقة الموسيقية ..

وتنتهى الرقصة ..

ويصفق الجمهور لعلوية الراقصة ..

لا أحد يصفق للطبلة ..

لا أحد يصفق لعبده الطبال ..

وتتسع ابتسامة عبده الساخرة المرة حتى تبدو كأنها تكاد تنطلق
في قهقهة صارخة يبصقها في وجه العالم ..

لقد حاول منذ صباه وطول سنوات شبابه أن يضع الطبلة في
قيمتها الفنية الصحيحة وأن يبنى للطبال احترامه الفني الكامل .. إن
الطبال هو القائد الفعلى للفرقة الموسيقية .. إنه المايسترو .. وبدل أن
يقود المايسترو عازفي الفرقة بعصاه فان الطبال يقودهم بالطبلة ..
بنقرات أصابعه .. ولكن لا أحد كان يعترف للطبال بهذه القيمة .. إن
الطبال في نظر الناس هو مؤخرة الراقصة .. وهو لا يخلق ولا يوجد إلا
في حارة العوالم .. هكذا كان يعتبر الناس الطبال حتى لو كان منهم
عبده ..

وعبده لم يولد في حارة العوالم ولم يبدأ مع راقصات .. إنه من
عائلة محترمة من عائلات العباسية وكان أبوه موظفا في وزارة
المواصلات وصل إلى الدرجة الثانية ، وجده كان من رجال القضاء ،
وهم يملكون عشرة أقدنة في البدرشين ، ولم يكن اسمه أبدا عبده
الطبال بل كان اسمه عبد الرؤوف مرعى .. وكانت العائلة كلها تهوى
الفن .. كان الفن أيامها هواية تنتشر بين العائلات المحترمة داخل

البيوت .. كان أبوه يعزف العود في أوقات فراغه ولا يعزفه أبدا أمام غريب عن البيت حتى لو كان من أصدقائه .. انها متعة يمارسها فقط في بيته ومع زوجته وأولاده .. وأمه كانت تهوى العزف على البيانو وقد اشترى لها أبوه بيانو كما اشترى لنفسه العود .. واخته كانت تهوى الغناء .. كانت تغنى وصوتها رائع وكان ما يضحك فيها أنها لا تصبح حتى تتم الأغنية ولكنها تقفز قبل أن تتمها إلى أغنية أخرى .. وأخوه محمود هوى نوعا آخر من الفن وهو كرة القدم وتتفوق فيها حتى أصبح من أبرز لاعبي المدرسة .. وأخوه مدحت هوى المصارعة وبرغم أنه لم يتفوق فيها إلا أنه استمر يعيشها حتى تخرج وتزوج واستغنى عن المصارعة بهواية الطاولة .. وهو .. عبد الرؤوف .. إنه لا يدرى متى وجد الطبلية بين يديه .. إنه لا يذكر نفسه إلا وبين يديه طبلية .. ولا يذكر نفسه إلا وأصابعه تدق دقات منغمة على كل شيء سواء على الطبلية أو على الشباك أو على الصينية أو على مكتبه أو على ساقيه .. وعرف بين أهالى الحى بأنه رائع فى دق الطبلية وفى «الواحدة والنص» ..

ولم تكن أمه متحفظة كأبيه فى الاحتفاظ بالفن داخل البيت وكانت تقيم ليلة استقبال كل شهر كعادة السيدات فى هذه الأيام وتطلب من عبد الرؤوف أن يدق الطبلية أمام صديقاتها وتقوم احدها لترقص ، وحتى فى المدرسة كان الطلبة يتجمعون حوله ويطلبون منه أن يدق الطبلية أو يدق على حقيبتة ويرقصون .. كان يعرف أن الرقص لا يمكن أن يكون إلا على دقات الطبلية .. ولكنه وهو يكبر عاما بعد عام بدأ يعرف أيضا أن ليس كل ما يمكن أن تؤديه الطبلية هو الترقيص .. وترقيص الناس .. انها آلة موسيقية كاملة .. إن سطحها يضم كل الأوتار الموسيقية وأصابعه يمكن أن تعزف فوقها من حافتها إلى وسطها كل الدرجات الموسيقية .. دو .. رى .. مى .. فا .. صو .. ولكن

بشخصية مستقلة عن باقي الآلات الموسيقية .
وهو يزداد تعلقا بالطبلة .. وقد حاول وقد اكتشف قوة هوايته
الموسيقية أن يهجر الطبلة إلى أى آلة أخرى .. درس البيانو وأجاد
العزف عليه ولكنه وجد نفسه يعود كل يوم إلى الطبلة كأنه ينهى
دراسته في المدرسة ويعود إلى البيت .. البيانو هو المدرسة والطبلة هي
البيت .. وترك البيانو وتعلم العزف على الكمان في معهد الموسيقى
الشرقية .. ولكنه عاد سريعا إلى البيت .. وعزف الجيتار .. وخلال ذلك
درس «السولفيج» والنوتة الموسيقية لعله ينتقل أبعد عن الطبلة ..
ولكن أبدا .. لا يستطيع أن يقضى يوما دون أن يحتضن بين يديه
ويطلق أصابعه ترقص فوقها .. إنه يحس بالطبلة كأنها قطعة منه بل
اقتنع أخيرا بأنه وهو يتقن نفسه موسيقيا إنما هو في الواقع يتقن
الطبلة .. ينقل كل ما يدرسه إلى الطبلة ..
ولكن لماذا الطبلة ؟

إنه يحس بها كأنها الآلة الوحيدة التي يمكن أن تفرض
شخصيتها .. الشخصية الشرقية .. الشخصية المصرية .. إن الطبلة
منتشرة في كل أنحاء العالم .. العالم المتقدم .. والعالم المتأخر .. ولكن
كل شعب من شعوب العالم له طبلة الخاصة التي تعبر عن شخصيته
الخاصة .. هذا بعكس الآلات الأخرى .. إنها كلها آلات مستوردة
تعرف لغات أجنبية حتى لو كانت للحن مصرى .. إن عبد الوهاب
والموجى وبلبيغ يتكلمون لغة أجنبية عندما يضعون الحانهم على آلات
أجنبية .. وقد تكون لهذه الآلات شخصية عالمية ولكن ليس لها
شخصية تعبر عن شعب بذاته ولذلك فهي لا تتغير من بلد لبلد ..
ماهى شخصية الجيتار .. وماهى شخصية الكمان .. وماهى
شخصية الكونترباس والأكورديون .. لا شخصية .. كلها آلات
مصنوعة كالبسكليت والسيارة وآلة الحلاقة ..

والآلات التي لها شخصية عربية تكاد تنقرض .. الناي والعود والقانون .. وربما كان العود والقانون لهما شخصية تركية وضياعهما أقل خسارة من الناي .. ولكن الناي مهم .. والأهم منه الطبله .. يجب أن يحمى شخصية الطبله من الضياع .. ويجب أن يدافع عنها .. يجب أن يفرض مكانتها وقوتها على فن الموسيقى .. ومنذ أصبح طالبا في المدرسة الثانوية بدأت شخصيته تعرف كعازف طبله .. إنه يرفض أن يحمل لقب طبال .. إنه عازف طبله .. ويجب أن يعترف الناس بأن الطبله هي مجموعة أوتار تعزفها أصابع الفنان كما تعزف الجيتار أو الكمان .. لماذا لا يسمى عازف الجيتار «جيتار» ، أو عازف الناي «ناي» .. لقد كانوا زمان يسمون عازف القانون «قانونجي» وكانوا يسمون عازف الكمان «كمنجاتي» .. ولكن هذه التسميات ألغيت وارتفع جميع الموسيقيين إلى لقب عازف أو موسيقار فلماذا يتركون عازف الطبله وحده يحمل لقب طبال .. والواقع أن لقب طبال لم يلتصق به وهو طالب في المدرسة الثانوية رغم أنه أيامها كان يكون فرقا موسيقية من أبناء الحي ويحيى بها الليالي والحفلات في بيوت الأصدقاء ، وكان يضع دائما دورا للطبله مع كل لحن .. وكان يصر في كل حفلة على أن يضرب الطبله ضربا منفردا .. أسف .. عزفا منفردا .. بل كان يفرض شخصيته على أصدقائه العازفين معه ويصمم أن يكون مكانه هو وطبلته في وسط الفرقة مكان عازف القانون أو عازف الكمان .. لماذا توضع الطبله دائما في مؤخرة الفرقة مع أنها مايسترو الآلات وضابط الايقاع أى ضابط الفرقة ..

ولم يكن أحد يتنبه إلى كل هذه المحاولات التي يحاول بها أن يطور مكانة الطبله بين بقية الآلات الموسيقية فقد كان مجرد طالب يهوى الموسيقى .. ابن عائلة محترمة وليس طببالا .. وكان محبوبا بين أهالي

الحى لروح المرح والموسيقى التى تحيط به دائما ، وكانت بنات الحى يتمنينه ويتمنين أن يرقصن على طبلته .. وكان يمكن أن يعيش العمر كله كمجرد هاو للطبلة كما يهوى أبوه عزف العود وتهوى أمه عزف البيانو وتهوى أخته الغناء وتستمر به الحياة ليكون موظفا محترما ورب عائلة سعيدة .. ولكنه التقى بالأستاذ على كمال مؤنس صاحب فرقة الأحلام الذهبية الموسيقية ..

ولم يبذل الأستاذ على كمال مؤنس أى جهد فى ضمه لفرقته إنما فقط أبدى إعجابه به ، وفسر عبد الرؤوف بهذا الإعجاب واستغله فى كسب صداقة الأستاذ مؤنس ، ودفعته الصداقة إلى أن يشترك بطبلته فى بعض الليالى التى تحييها فرقة الأحلام الذهبية .. متبرعا .. مجرد هاو .. ولكنه بدأ يتعود على هذه الليالى وبدأ الأستاذ مؤنس يزداد إعجابا به ويعتمد عليه أكثر وبدأ عالم الموسيقى يكتشف فيه شخصية جديدة قادرة على جذب الجمهور ..

واحترف ..

احترف الموسيقى ..

احترف الطبلة ..

أصبح عضوا ثابتا فى فرقة الأحلام ويتقاضى أجرا كبيرا بالنسبة لما كان يتخيله كمستقبل بعد أن يصبح موظفا محترما .. جنيهاً فى الليلة الواحدة ..

وكان عبد الرؤوف أيامها قد حصل على شهادة التوجيهية التى تسمى الآن شهادة الثانوية العامة .. والتحق بكلية الزراعة تلبية لرغبة أبيه الذى كان يريد أن يتخصص أحد من أبنائه فى زراعة الأفدنة العشرة التى يملكها .. وثار أبوه عندما علم أن ابنه عبد الرؤوف احترف الطبلة وانضم إلى الفرقة الموسيقية .. وكان عبد الرؤوف يقنعه بأن الطبلة لن تشغله عن الدراسة الجامعية .. واضطر الأب إلى

التسليم والاقتناع وإن كان قد قاطع الاستماع إلى هذه الفرقة الموسيقية بل حرم على ابنه أن يعزف الطبلية في البيت .. أترك الطبلية يا ولد وذاكر ..

ولم يستطع عبد الرؤوف أن يحقق وعده .. أخذته الطبلية من الجامعة .. وتفرغ ب كله للفرقة الموسيقية .. وتغير كل شيء فيه حتى اسمه .. لم يعد اسمه عبد الرؤوف مرعى .. أصبح اسمه عبده الطبال .. وعبده يحس أنه إنتقل إلى الحياة التى يريد بها .. حياة الطبلية .. وهو ناجح .. ويحس بنجاحه .. ولكن مشكلته انه لا يستطيع أن يستغل هذا النجاح فى التطور بالطبلية نفسها كآلة يريد أن يرفعها إلى مستوى الآلات الأخرى .. لا يليق أن تبقى الطبلية آلة مساعدة أو آلة مكمله أو مجرد ساعة بزمبلك لضبط الإيقاع ..

وقد عرض على الأستاذ مؤنس صاحب الفرقة عدة مرات أن يفسح له مكانا لعزف منفرد على الطبلية .. وكان يختار المقاطع بين الألحان التى يمكن أن تنفرد فيها الطبلية بنفسها .. بل إنه وضع لحنا كاملا من تأليفه خص الطبلية فيه بمعظم الفقرات وأبتكر فيه جملا موسيقية لم تعرف من قبل .. ولكن الأستاذ مؤنس .. وهو إنسان يضع الموسيقى فى مستوى الكوكاكولا .. مجرد شيء للترفيه عن الأذن كما ترفيه الكوكاكولا عن بلاعيم الناس .. كان الأستاذ مؤنس يسخر من اقتراحات عبده الطبال .. خليك معانا يا بتهوقن .. وكان أحيانا يترك له بضع دقائق أثناء العزف لينفرد فيها بالطبلية .. دقيقة أو اثنتين لا أكثر ..

ثم إنه يريد أن يحقق أحلامه ينقل الطبلية من حافة الفرقة الموسيقية إلى وسطها .. إن آلة «الجازبند» توضع الآن فى وسط الفرقة التى تعزف الموسيقى الأجنبية .. والجازبند هى طبلية .. طبلية الخواجات فلماذا لا تحترم الطبلية المصرية وتحل مكان الصدارة فى

الفرقة الموسيقية .. ولكن مستحيل .. الأستاذ مؤنس لا يمكن أن يفهم هذا الكلام ..

إن عبده يحس أنه لا يستطيع أن يصل مع الأستاذ مؤنس وفرقته إلى المكانة والاحترام اللذين يحلم بهما طوال عمره .. مكانة الطبلّة واحترام الطبلّة .. لم يكن يحس بهذه المكانة وهذا الاحترام إلا مع الراقصة .. كل راقصة وأى راقصة .. إن الراقصة هى لعبة الطبال وهى تعرف انها لعبته وحتى يلعب بها لعبة تعجب الناس فهى تحاول أن تكسبه .. تحاول أن تأخذه .. الراقصة للطبال كالمطربة للملحن .. وكما تزوجت وردة ببلغ وتزوجت فايزة بمحمد سلطان .. تزوج النغم بالصوت .. وضاعت نجاة وشادية لان الصوت لم يجد نغما يتزوجه .. فإن كل راقصة تتمنى أن تتزوج طبالا حتى تطمئن على فنّها .. تتزوج الدقة بالهزة .. وقد تزوجت الراقصة نعيمة بمحروس الطبال .. وتزوجت الراقصة ليلى بعباس الطبال .. والراقصة شريفة لم تتزوج فهمى الطبال ولكنها سلمته كل حياتها .. فالطبال هو سيد الراقصة حتى ولو لم يتزوجها .. وربما لهذا هربت الراقصة حياة فاضل من كل الفرق الموسيقية وأصبحت ترقص على تسجيلات حتى لو جازفت بإعجاب ورضاء الجمهور .. وآه لو عرف الجمهور ما يجرى بين الراقصة والطبال ..

ولكن عبده الطبال شىء آخر .. إنه يرفض أن تعتبر الطبلّة مؤخرة الراقصة .. إن الطبلّة ليست دقائق لهز الخصر انها أنغام للأذن .. إنها لحن كامل .. وقد حاولت كل راقصة رقصة أمام طبلته أن تعطيه كل ما تريد وأكثر .. عرضت عليه نعيمة الزواج .. ما تيجى نتجوز يا عبده وعرضت عليه سميرة ليالى بلا زواج .. وحاولت سنية أن تدفع له أتعابا .. إنه طبيبها الذى يعالج فنّها ويكتب الروشتة بالطبلّة ويستحق الفريضة .. ولكنه يرفض .. يرفض أن ترتبط الطبلّة والطبال

براقصة .. إن الطبله فن أوسع من الرقص والطبال يحرك الجمهور وليس الراقصات فحسب .. ولكنه رغم ذلك هو المسئول عن الراقصة التى ترقص أمامه وكان يحدد علاقته بكل راقصة على قدر موهبتها وعلى مستوى تعبيرها بفنّها .. إن الرقص فن تعبيرى يعبر عن خوالج النفس البشرية .. وعلى قدر ارتفاع موهبة الراقصة وارتفاع مستوى تعبيرها كان عبده يعطيها من فنه .. فن الطبله .. وقد عرفت عنه الراقصات كل ذلك وكن يبذلن فى الرقص أمامه أكثر مما يبذلن عندما يرقصن أمام أى طبال آخر .. وكن يحترمنه .. بل إنهن منحنه لقباً لم يثله أحد من الطبالين .. لقب أستاذ .. الأستاذ عبده الطبال .. وبعض الراقصات كن يخفن الأستاذ عبده .. يشعرون بالعجز الفنى أمامه فيهربن منه ويرفضن الرقص أمامه .. هذا النوع من الراقصات الذى يتحرك دون أن يعبر .. فعرف عبده بأنه لا يعزف إلا لأرقى مستوى الراقصات ..

وعبده وسط كل ذلك تشتت به أزمته ..

أزمة الارتقاء بالطبله والطبال ..

لم يعد هناك أمل إلا أن يجمع فرقة موسيقية خاصة به .. فرقة يستطيع أن يضع الطبله على رأسها وفى مقدمتها وأن يترك الطبله تعزف فيها عزفا منفردا ..

ولكن أين يعمل بهذه الفرقة ..

من أصحاب الملاهى يقبل أن يعرض مجرد فرقة موسيقية تقوم على طبله ؟ ..

وأى مؤسسة من مؤسسات الدولة يمكن أن تفسح المجال لهذا الفن الجديد ! .. الإذاعة ؟ ، التلفزيون ؟ مؤسسة المسرح ؟ .. لا .. لا .. لا .. يظن أنه يمكن أن يجد طريقا إلى هذه المجالات ..

وكان مع الفرقة الموسيقية فى طنطا يشترك مع المطربة فريدة

رحمى فى احياء فرح ابنة احدى الشخصيات .. وشاهد هناك مباهج ترقص .. انها ترقص مع فرقة العوالم .. بعد الزفة .. وهى صغيرة قد لا تتجاوز الخامسة عشرة ولكنها ترقص رقصا رائعا .. إنها تعبر تعبيرا جديدا عن احساس صديقة .. وهى لا تفتعل .. ولا تثير .. انها كأنما تتكلم بتحركات جسدها .. كأنها تروى حكاية .. حكايتها .. من أين جاءت بكل هذا الفن .. إنها موهبة تلقائية كما وهب هو فن الطبل من قبل أن يتعلمه ..

وطرأت الفكرة على باله ..

وصمم عليها ..

وبحث عن أب مباهج .. وكان يعتقد أنه لا شك أحد أفراد طاقم العوالم أو أحد فناني الارياف .. ولكنه لم يجد أباه ولا أمها وعرف انها تعيش ملكا لزنوبة العالمة .. وزنوبة تعرفه .. كل العوالم يعرفون أو يسمعون عن الأستاذ عبده الطبال .. واستطاع أن يقنع زنوبة بأن يأخذ منها مباهج ليضمها إلى فرقته .. الفرقة التى لم يكونها بعد .. ودفع لزنوبة .. اشترى منها مباهج وان كانت قد اشترطت عليه أن تقيم مباهج فى القاهرة مع ابنة عمته فردوس .. وفردوس ليست راقصة ولا عالمة ولكنها متزوجة فى القاهرة وزنوبة لا تطمئن على مباهج إلا وهى مع ابنة عمته حتى لو كانت فى رعاية عبده الطبال .. وعنده يفهم ما ترمى إليه زنوبة .. انها تريد أن تبقى مالكة مملكة مسيطرة على مباهج ..

وعاد عبده بمباهج إلى القاهرة وتركها فى بيت فردوس ابنة عم زنوبة .. واستقال من فرقة الأحلام الذهبية رغم الحاح الأستاذ مؤنس بالألا يتركهم .. وبدأ يجمع فرقته الجديدة .. لم يكن فى حاجة إلى أكثر من أربعة عازفين .. إنه لون جديد من الفرق الموسيقية .. الطبال وعازف الناي وعازف أوكريديون وعازف جيتار .. واختارهم كلهم من الناشئين وكلهم من الهواة ماعدا عازف الناي .. هواة من الشبان

الناشئين .. شبان كان يعرفهم وكانوا يتعلقون به وهم مؤمنون به
ويطبلته..

وفي كل صباح يجتمعون كلهم في بيته ومعهم مباحج .. وهو يضع
الحن بنفسه ويطور الألحان القديمة لصالح الطبله .. وهو يعلم أنه
سيبيع فنه بالرقصة .. ليس هناك ملهى يمكن أن يقبله إلا إذا قدم له
راقصة ورقصة .. لا يهم .. أن عبد الوهاب يبيع فنه بصوت أم كلثوم
وهو سيبيع فنه برقصات مباحج .. ولكن هناك فرقا .. إن أم كلثوم
كيسان فنى يوازى عبد الوهاب وكل منهما له فضل على الآخر أما
مباحج فهي راقصة جديدة لا يعرفها أحد وكذلك كل من يجمعهم من
أفراد الفرقة .. لا أحد معروف ولا أحد يمكن أن يوازيه ولا أن يكون له
فضل عليه .. وهو الذى يخلق كل شيء .. وعبد الوهاب يقدم أغنية أم
كلثوم بمقدمة موسيقية طويلة حتى يثبت ويبرز شخصيته أمام
شخصية أم كلثوم ، وهو أيضا لن يقدم رقصة مباحج إلا بعد مقدمة
موسيقية طويلة تعبر عنها الطبله .. الطبله فقط مع مقاطع سريعة من
الأكورديون والجيتار وبمصاحبة الناي ، حتى يثبت شخصية الطبله
بجانب قوة جذب الرقصة التى ترقصها مباحج .. مقدمة عشر دقائق
كاملة تلعبها الطبله قبل أن تدخل مباحج لترقص ..

والبروفات تبدأ كل صباح ولا تنتهى قبل منتصف الليل .. وهو
يحاول أن يحقق في مباحج كل ما اخترننه في خياله من فن الرقص ..
ويقسو عليها .. ويصرخ .. وهى تستسلم وتطيع بل إنها أصبحت
تؤمن به وتتعلق به كأستاذ .. أنها ترى فيه المستقبل الجديد .. وهو
يتعب محفوظ عازف الجيتار .. إنه لا يزال في المدرسة الثانوية كما
كان هو قبل أن يحترف الطبله .. ويتعب أيضا عبد الحميد عازف
الأكورديون .. انه يريد أن يخلصه من الانغام الأجنبية .. يريد به أن
يمصر الأكورديون .. الوحيد الذى يتأمل معه بهدوء هو مصطفى
عازف الناي .. انه محترف مثله .. مصطفى ينظر إليه دائما كأنه

يشفق عليه ويطاوعه كأنه يأخذه على قدر عقله ويتحمل صديقه إلى أن يشفيه الله ..

وتمت البروفات ..

كل شيء جاهز للعرض ..

واستطاع أن يتفق مع ملهى البلابل بشارع الهرم وكان لا يمكن أن يتم الاتفاق إلا بعد أن يشاهد برسم المليجي صاحب الملهى رقصات مباهج .. وقاس بعينه استدارة نهديها وخصرها وخطوط ساقها .. انها جميلة .. انها شابة لم تترك الليالى بعد بصماتها على جسدها .. انها فن بكر ..

وبدأت الليلة الأولى ..

ولاول مرة تقدم الطبله نفسها للجمهور وقد توسطت أفراد الفرقة الموسيقية وعن يمينها الناي وعن يسارها الأكورديون والجيتار .. الطبله هي المايسترو ...

لقد جعل أحمد فؤاد حسن من آلة القانون مايسترو الفرقة .. وعنده الطبال ازاح القانون وطرده من الفرقة وتولت الطبله القيادة .. ربما ظلم الجمهور عبده الطبال منذ الليلة الأولى .. إنه جمهور لا يستطيع أن يفهم أن تكوين فرقة موسيقية من أربع آلات فقط هو تجديد في فن توزيع الأنغام .. كل ما يفهمه الجمهور هو أن صاحب هذه الفرقة إنسان فقير غلبان لا يستطيع أن يدفع أجور أكثر من أربعة عازفين .. إن عدد أفراد الفرقة الموسيقية أصبح مظهرا من مظاهر غنى الفنان .. وقد كانت منيرة المهدي تغنى على فرقة موسيقية من خمس آلات .. وجاء عبد الوهاب ورفع العدد إلى ثمانية ليثبت أنه غنى فنيا .. فاضطرت أم كلثوم أن ترفع العدد إلى عشرة رغم أنها بدأت الغناء على مزمار واحد .. وتحداها عبد الوهاب فرفع عدد أفراد فرقته الموسيقية إلى خمسة عشر .. وظهر عبد الحليم حافظ

كمنافس خطير فتقدم بفرقة موسيقية عددها خمسة وعشرون .. واعتقدت أم كلثوم أن هذه هى موضة الجيل الجديد فرفعت عدد أفراد فرقته الموسيقية إلى ثلاثين .. وهكذا سرت العدوى بين كل المطربين والمطربات ثم انتقلت إلى الراقصات وأصبحت نجوى فؤاد ترقص على أنغام فرقة تجمع أربعين عازفا وطبالا .. كل ما ملكت أيماهم .. على قدر فلوسك تجمع من يعزف لك .. رغم أن الأداء الفنى ليس فى حاجة إلى كل هذا العدد من الآلات الموسيقية ولا من الموسيقيين .. إنه أداء فردى .. المطرب أو المطربة أو الراقصة يؤدى كل منهم فنا فرديا لا يحتاج إلى كل هذه الزيتة الموسيقية .. فلو كان العمل الفنى جماعيا كالأوبرا أو السيمفونية أو المسرح الاستعراضى أو رقصات فرقة رضاء أو استعراضات الجيش لاحتاج إلى هذا العدد من الآلات الموسيقية حتى يتم التوازن فى الأداء .. ولكن ما حاجة الأداء الفردى إلى عشرين آلة كمان مثلا .. إنه مجرد مظهر تفاخر كتعليق الأعلام والأنوار الملونة فى الموالد والأفراح .. وكانت النتيجة أن تمزق الذوق الفنى للجمهور .. أصبح الجمهور يسمع أغنية لشادية أو لفائزة وهو تائه بين مؤثرات متناقضة .. هل يرقص بلدى .. أم يرقص افرنجى .. أم يعيش فى نغم أوبرالى .. أم يتسلطن طربا ويصيح الله الله يا ست .. وضاعت مع ذلك المقطوعات الموسيقية مع مقطوعات الغناء الفردى فلم يعد عبد الوهاب يستطيع كملحن أن يقدم مقطوعة موسيقية ويضمن لها النجاح بلا غناء ولم تعد أم كلثوم تستطيع أن تغنى بلا مقطوعة موسيقية قائمة بذاتها ولا علاقة لها بما تغنيه ..

وعبد الطبال كان يعرف كل ذلك وكان يريد أن يطور تكوين الفرق الموسيقية بحيث تكون فى حدود حاجة اللحن .. والألحان التى يقدمها ليست فى حاجة إلى أكثر من أربع آلات .. ومباهج فى رقصتها ليست أيضا فى حاجة إلى أكثر من الآلات الأربع .. لماذا يأتى بعازف

كمان مثلا .. إن آخر ما تحتاجه أى رقصة بلدى هى الكمان .. إنها آلة لا تصلح لأداء الأنغام الراقصة وعندما تشارك الآلات الأخرى فى لحن رقص شرقى تبدو أنغامها كأنها مجرد يد طفل تصفق مع هزات خصر الراقصة ..

ولكن عبده الطبال لم يكن يعتمد تطوير الفرق الموسيقية فحسب بل كان أيضا يعبر عن غيرته من الآلات الأخرى .. إنه يغار ويسخط ويلعن هذه الآلات التى تضع نفسها فوق مستوى الطبله فتطردها إلى نهاية الحافة الموسيقية .. إلى آخر مقعد من مقاعد الفرقة .. وقد أصبحت الفرقة فرقته .. فرقة الطبال .. فرقة الطبله .. والطبله لن تأخذ معها إلا ما تحتاج إليه من بقية الآلات .. وهى لا تحتاج إلى كثير انها فى غنى عن معظم الآلات الموسيقية خصوصا الآلات البخيلة كالأورج هذه الآلة التى يقف العازف خلفها كما يقف لاعب الأراجوز يقلد جميع أوتار الآلات الأخرى ..

ولما كانت الطبله مكلفة دائما بأن تبدأ بعدة فقرات تعلن بها افتتاح اللحن ، كأنها دقات على خشبة المسرح تعلن رفع الستار .. إوعى أنا جاي .. كله يسمع .. فقد قرر عبده أن يتولى الأكورديون التقديم .. لا الطبله .. إن الطبله أصبحت فى فرقته هى البريمادونا .. هى البطله .. وعلى الآلات الأخرى أن تقدمها .. ولعب عازف الأكورديون لحنا سريعا لا يتجاوز دقيقتين يعلن الافتتاح ثم دخلت الآلات الأربع مع بعضها : الطبله والناي والأكورديون والجيتار .. تعزف الافتتاحية .. ثم سكت الجميع لحظة وبدأت الطبله وحدها .. وكان عبده ينتظر أن يحييه الجمهور بالتصفيق عندما يبدأ كما يصفق لأم كلثوم عندما تقوم واقفة بين أفراد الفرقة وقبل أن تبدأ الغناء .. ولكن أحدا لم يصفق .. انهم لا يعرفون ما سيقدمه لهم وبدأت أصابعه تلعب فوق الطبله .. ان كل سنتيمتر من سطح الطبله يعتبر وترا .. وهو يعزف

فوق أوتار .. انه لا يطبل .. ولكنه يعزف .. شيئاً جديداً تقدمه الطبلية
لعالم الفن وللجمهور .. والنأي يصاحب الطبلية في بعض المقاطع ..
والجيتار يصاحبها في مقاطع أخرى .. والأكورديون يحييها بزغردة
موسيقية بين كل مقطع وآخر ..

وصفق الجمهور ..

وصفق بحرارة ..

إنها المرة الأولى التي يتمتع بها عبده الطبال بالتصفيق له وحده
التصفيق للطبلية ..

واستمر يعزف ولم يلاحظ أن الجمهور بدأ يتطلع إلى مداخل
المسرح كأنه ينتظر أن يرى شيئاً آخر .. ولم يحس بأن بعضاً من
الجمهور بدأ يحدث بعضه في جوانب الصالة .. لم يلاحظ عبده شيئاً
من هذا .. إنه مندمج كله مع طبلته وقد خصص لها كل الوقت .. عشر
دقائق .. عشرين دقيقة .. وبجانبه صديقه مصطفى عازف الناي
يزداد اشفاقاً عليه .. إنه يعلم أن الجمهور لا يحتمل الطبلية كل هذه
المدة حتى لو كانت بين يدي عبده الطبال .. وهو يرى تطلعات الناس
ويعرف إلى ماذا يتطلعون .. انهم يتطلعون إلى دخول الراقصة ..
الطبلية تعنى الراقصة ..

لا .. عبده الطبال متأكد أن الطبلية تستطيع أن تغني الناس عن كل
آلة أخرى وعن الراقصة وهو لا يحس إلا بالطبلية .. إن هذه الفرقة
كلها هي فرقة الطبلية ..

وانتهى اللحن وسكتت الطبلية ..

وصفق الجمهور .. ولكنه تصفيق خافت متناثر بين عدد قليل من
الموائد .. ورغم ذلك قام عبده وبين يديه طبلته يحيى جمهور
المصفيقين .. مهما كان التصفيق خافتاً فهو تصفيق للطبلية وحدها ..
وعادت الفرقة تعزف ..

وظهرت مباحج على المسرح لترقص ..

وجه جديد يراه جمهور شارع الهرم لأول مرة .. وجه مصنوع في
طنطا .. بركاتك ياسيدى يابدى .. وانبهر الجمهور بالجمال
الفلاحى الأسمر والقوام المشدود كأنه يرقص وهو يحمل فوق رأسه
بلاصا .. والهزات التى تبدو ساذجة بريئة كأن مباحج طفلة تغافل
أهلها وترقص في مولد .. حتى الشوب الذى ترقص به ليس زاعق
الالوان تنتشر فوقه حبات الترتر والفصوص وليس ثوبا يتمزق فوق
جسدها ليكشف عن نهر ثدييها وثنايا خصرها .. إنه ثوب أسود من
الحرير الشفاف كأنه ثوب فلاحه تزف به إلى بيت عريسها .. ثم
الحن الذى ترقص عليه والذى وضعه عبده .. إنه لحن مصرى
خالص يتركز في الطبل .. وتأخذك الطبلية إلى طنطا ثم تنقلك إلى
دمنهوور ثم تجد نفسك في أسيووط ثم تقفز بك الطبلية إلى بعيد إلى بلاد
النوبة .. إن طبلية عبده ترسم مصر كلها على قوام الراقصة مباحج ..
وكل مكان من مصر له دقته الخاصة على الطبلية ..

ودوت الصالة بالتصفيق ..

ووقف عبده الطبال يحيى الجمهور .. إنه هو الذى خلق كل هذا
الفن .. هو الذى يستحق كل هذا التصفيق .. ولكن الجمهور كان
يصفق للراقصة مباحج ..



والايام تمر ووراؤها النجاح وترتفع فرقة عبده الطبال إلى القمة ..
أصبحت الفرقة هى النمرة الأساسية التى تشد الجمهور إلى كازينو
البلابل .. وعبده يكره أن تسمى فرقته نمرة .. إنه ليس نمرة .. عبد
الوهاب ليس نمرة .. وفرقة أحمد فؤاد حسن ليست نمرة .. وهو .. إنه
كل شئ في هذا الملهى .. كل الآخرين نمر تمهد لظهوور فرقته على
المسرح .. بل حتى الخمور التى توزع على الموائد هى أقرب إلى أكواب

الشربيات توزع تحية لفرقته .. إنه ليس نمرة .. إنه ليلة كاملة قائمة بذاتها كلياى أم كلثوم .. وهو يعيش بكل كيانه فى نشوة النجاح .. لقد نجح .. حقق الحلم الذى ولد معه .. أصبحت الطبله هى الآلة الأولى وأصبح الطبال هو المايسترو .. أصبحت الفرقة الموسيقية هى طبال وليست فرقة قانونجى أو عواد أو فرقة لاعب جيتار كفرقة عمر خورشيد .. ونشوة النجاح ترتفع به إلى مستويات فنية جديدة وتدفع أصابعه لترقص فوق الطبله رقصات جديدة .. رائعة .. ولكن هذه النشوة أغفت عينيه عن الحقيقة ..

إنه لا يدري أن فرقته الموسيقية أصبحت تسمى فرقة الراقصة مباهج .. لا يدري .. أن مباهج ليست إلا آلة فنية أخرى بجانب الآلات الثلاث التى يستأجرها ويحركها .. وعندما يصفق الجمهور فى نهاية الرقصة لا يزال يقوم واقفا بجانب مباهج وينحنى ردا على تصفيق الجمهور .. بل إنه يقف متقدما على مباهج .. ان التصفيق له هو .. الذى خلق هذا الفن .. هو الطبله .. وربما لاحظ أن الجمهور يصفق فى نهاية الرقصة أكثر مما يصفق فى نهاية المقدمة الموسيقية التى يقدمها وحده بلا راقصة .. ولكن هذا لا يعنى شيئا .. ان الجمهور لا يصفق أكثر للراقصة ولكنه يصفق أكثر للعمل الفنى المتكامل أى بعد استكمال الموسيقى بالرقصة .. والتصفيق دائما له هو وللطبله .. لا يمكن أن يقال أن الجمهور يصفق لغناء أم كلثوم أكثر مما يصفق لموسيقى عبد الوهاب .. إنه يصفق للعمل المتكامل الذى خلقه عبد الوهاب وتؤديه أم كلثوم كآلة موسيقية أخرى من آلات الأداء ..

وربما لاحظ عبده الطبال أن أموال النقوطة تنهمر كلها على مباهج الراقصة .. لقد أصبحت تجمع فى الليلة الواحدة أكثر من خمسمائة جنيه أحيانا ألف جنيه إذا كان بين الجمهور أغلبية من براميل البترول .. و .. ولا ملجأ للطبله أو للفرقة الموسيقية .. كلام فاضى .. إن

الجمهور لا يحيى بالنقوطة الراقصة مباحج وحدها ولكنه يحيى العمل الفني .. إن مباحج ليست إلا قطعة من هذا العمل الفني ، وكل ما هناك أنها تقف كآلة الكيس تتسلم الثمن .. آلة الكيس ليست هي صاحب المتجر .. صاحب الفضل ..

وقد فرح عبده الطبال عندما بدأت شركات تسجيل الاسطوانات والكاسيت تنهافت عليه .. إن التسجيل لا يشمل الراقصة طبعاً .. إنه موسيقى خالصة .. موسيقاه .. موسيقى عبده الطبال .. وقد فوجيء عندما وجدهم قد أسموا الاسطوانة التي طبعوا عليها موسيقاه «رقصة مباحج» .. لا يهم .. إنها فعلاً رقصة مباحج .. والخطأ خطؤه لأنه لم يتنبه إلى أنه كان يجب أن يطلق اسماً على كل لحن من ألحانه .. إن نشوة النجاح قد أصابته بنوع من الغرور .. أصبح لا يتصور شيئاً أقوى منه ومن طبلته .. بل إنه لم يكن يهتم بأن الصحف لا تتكلم عنه إنما تتكلم عن مباحج وتنشر صور مباحج وإذا جاء ذكره فهو طبال مباحج .. كل هذا لا يهتم به .. إنه شامخ مغرور .. ولكن ..

مباحج نفسها بدأت تتعبه ..

لم يكن قد مر أكثر من ثلاثة شهور على بداية الفرقة عندما جاءت فردوس التي تقيم مباحج في بيتها وابنة عم زنوبة العاملة التي اشترى منها مباحج .. جاءت فردوس تطالبه برفع أجر مباحج .. إنه يعطيها خمسة جنيهات في الليلة الواحدة ولو كان قد تركها في طنطا لما وصلت إلى الجنيهات الخمسة ولو رقصت ثلاثين ليلة .. ولكن فردوس تلح وتشكو من المصاريف .. وحياتك ياسى عبده خمسة جنيهات تكفى التاكسى بالكاد .. اننى أترك البيت لأصحب مباحج طول الليل واضطررت أن أبحث عن خادمة لولادى واسكت زوجى كل ليلة بزجاجة كونيالك .. ويصرخ عبده ويلتفت إلى مباحج .. ومباحج تحنى رأسها في حياء .. الكلمة كلمتك ياسى عبده ..

هؤلاء النسوة الشماطات .. خمسة جنيهاً في الليلة .. مائة وخمسين جنيهاً في الشهر .. تكفى مباحج وأمها وأمها وأباها وأبيها .. تكفى حارة العوالم كلها .. وكان عبده قد اتفق مع برسوم المليجي صاحب كباريه البلابل على خمسين جنيهاً في الليلة اتعاباً للفرقة كلها بما فيها الراقصة .. خمسة من خمسين .. أنها لا تستحق بالنسبة للفرقة خمسة من ألف .. وصحيح إنه رفع اتعابه إلى ثمانين جنيهاً في الليلة بعد النجاح الذي حققه ولكن لماذا يرفع اتعاب مباحج وهي لا تستحق شيئاً بغيره وبغير طبلته ..

ورغم ذلك فقد خضع ورفع أتعاب مباحج إلى ثمانية جنيهاً في الليلة .. وامتدت أطماع مباحج إلى النقود .. وكانت قيمة النقود توزع عادة على ثلاثة .. ثلث لصاحب الملهى والثلث للفرقة والثلث للراقصة .. ولكن لماذا يخص مباحج الثلث .. إنها آلة فنية متساوية مع بقية الآلات .. فكان يجمع الثلثين من قيمة النقود ويوزعها على كل أفراد الفرقة بالتساوى بما فيهم هو ومباحج .. لم يكن يأخذ لنفسه أكثر من مباحج أو من مصطفى عازف الناي أو من محفوظ عازف الجيتار أو من عبد الحميد عازف الأكورديون .. فلماذا تأخذ مباحج أكثر من أى واحد فيهم .. ورفض .. أنها اشتراكية الفن .. ولكن بعد عام من الاصرار اضطر أن يستسلم ويخص مباحج بثلث قيمة النقود خصوصاً وأن صاحب الملهى فرض نفسه كحامى حمى خزينة النقود وهو رجل لا يؤمن بالاشتراكية .. رأسمالى يستعمر الراقصات .. ومباحج تحتفظ دائماً بسداجة الفلاحة وخفر الفلاحة ولكنه يراها من بعيد وهي تجالس بسداجتها وخفرها زبائن الصالة .. ولعلها أضافت إلى السداجة والخفر النباهة .. فهي لا تجالس إلا أنواعاً معينة من الزبائن .. إن الأستاذ رفعت مدبولى المنتج السينمائى المعروف أصبح من زبائن الصالة الدائمين .. زبائن مباحج .. والامير ببركات

يقيم كل أسبوع حفلة ساهرة يدعو إليها صديقه مباحج وفرقة عبده الطبال .. إنها صداقة فنية .. عبده متأكد من ذلك ..

وهى مع سذاجتها وخفرتها ونباهتها تزداد مطالبتها .. وعبده لا يهتم بما تطلبه مادام بعيدا عنه .. ولكنها بدأت تطلب طلبات فنية .. سى عبده انى اتمنى أن أرقص على رق وتار .. والله عال .. انها تريد أن تقلب كيان الفرقة كلها .. تريد أن تهدم حياته .. تريد أن تذل بجانب الرق والتار .. مستحيل .. لقد ألغى الرق والتار حتى لا تبدو الطبلبة كأنها آلة مساعدة وحتى يثبت أن الطبلبة المصرية .. طبلبة عبده .. تستطيع وحدها أن تغنى عن كل أدوات الايقاع .. مستحيل ..

وجاءته مرة أخرى .. سى عبده لماذا لا تضم للفرقة كمان .. اثنين ثلاثه .. أحس ان الكمان يملأ أذننى ويعسدل مخى ويفتح شهيتى للرقص .. يامجرمة .. يا جاهلة .. إنك لا تعرفين ماذا فعل عبده الطبال فى عالم الفن .. لقد خلق شخصية الطبلبة المصرية .. إنه خلق فنا مصرياً جديدا كالفن الذى خلقه سيد درويش .. وأنت لا تساوين شيئا بجانب الطبلبة .. الطبلبة هى التى تحرك .. هى التى تأمرك .. والطبلبة تأمرك ألا تضغى أذنيك إلا على نقراتها .. تقولين كمان .. انك لا تعرفين عن الكمان إلا أنه مظهر من مظاهر التجميل .. الكمان لا يساوى عندك أكثر من ذيل فستان أو حلق تشبكيه فى أذنيك للتجميل أمام المعجبين .. لا يابنت طنطا .. وعزة السيد البدوى لن ترى فى عورك كمانا بين فرقة عبده الطبال ..

وعبده يتحمل مباحج ويسترد أمامها نشوته وغروره .. لايد أن هناك من يملأ عقلها بهذه المطالب .. انها جاهلة ثم انها منذ عرفتة وهى تخافه وتحترمه فمن يحرضها عليه ويحاول أن يقضى بها على شخصيته الفنية .. ثم جاءت بالطلب الأغرب .. إن زنوبة العالمة تريدها لترقص ليلة فى طنطا ..

إن مباهج أصبح لها اسم كبير وسعر كبير وزنوبة تريد أن تستغلها .. ولو سمح لها بأن ترقص مع زنوبة العالمة ليلة واحدة فلن تهدأ زنوبة إلا بعد أن تأخذها كل الليالي .. مستحيل .. هو الذى صنع مباهج وهو وحده الذى له حق عليها .. لا ترقص إلا له .. ومباهج تحاول أن تقنعه .. ليلة واحدة ياسى عبده .. ان زنوبة صاحبة فضل على يا أستاذ .. لا .. أبدا .. ليس لاحد فضل عليك إلا أنا .. انتشلتك من دكان العوالم لاجعل منك فنانة .. انك اليوم لا ترقصين هز البطن ولكنك ترقصين التعبير الفنى للنفس البشرية .. فكيف تعودين بهذا الفن إلى العوالم وإلى زفة العروسة .. ومباهج تصر .. لا أستطيع يا أستاذ .. لا أستطيع اغضاب ست زنوبة .. وسافرت مباهج ليلتها إلى طنطا ..

إنها الليلة الأولى التى تظهر فيها الفرقة الموسيقية على المسرح بلا مباهج .. وعنده يتحدى .. انها فرقة موسيقية وليست فرقة رقص .. انها فرقة عبده الطبال وليس فرقة الراقصة مباهج .. الجمهور جمهور موسيقى وليس جمهور هز البطن .. وبلغ من تحديه أن رفض أن يقدم موعد الفرقة بحيث تستطيع مباهج أن ترقص ثم تسافر بعد الرقصة إلى طنطا .. انه لا يخضع مواعيد الفرقة ومصيرها لاهواء راقصة .. ورقص أيضا ما عرضته عليه زنوبة بأن تصاحب الفرقة مباهج إلى طنطا .. وثار .. انه لا يتعامل مع عالمة ولا ينزل إلى مستوى فرق العوالم .. إنه الموسيقار عبده الطبال .. وقد كان الموسيقار محمد عبد الوهاب يشترك ويساهم مع العوالم في احياء حفلات الأفراح ولكنه كان يفعل ذلك عندما كان مطربا ثم بعد أن انقطع عن الغناء وارتفع إلى مستوى الموسيقار ارتفع بنفسه فوق مستوى لياالى الأفراح .. بل أن عبد الوهاب لم يلحن حتى اليوم زفة

عروسة .. وهو أيضا .. الموسيقار عبده الطبال يجب أن يرتفع بنفسه فوق مستوى زفة العروسة ..

وقرر ليلتها أن يعتمد اعتمادا كاملا على الطبله ..
الطبله ليست في حاجة إلى راقصة ..

وقضى اليوم يعد الفرقة بحيث يملأ الفراغ الذي ستتركه مباحج ..
سيقوم الناي بتقاسيم أطول .. ثم تقوم الفرقة كلها بعزف مقطوعة «حبك شغل بالي» .. ثم تقاسيم أسبانيولية على الجيتار .. ثم يشترك مع الأكورديون في حوار موسيقى .. الطبله تدق والأكورديون يرد عليها ..

وسأل برسوم المليجي صاحب الملهى :

- أين مباحج ..

وأجاب الأستاذ عبده في برود :

- سافرت إلى طنطا ..

وصرخ برسوم المليجي :

--- سافرت .. ماذا يعنى أنها سافرت .. ولم تترك الفرقة .. من

سيرقص الليلة ..

وقال الأستاذ عبده وهو يلوى شفتيه امتعاضا :

- الفرقة ليست في حاجة إلى راقصة .. انها فرقة موسيقية ..

وعاد برسوم المليجي يصرخ ساخطا :

- ماذا تقول يا حبة عيني .. ليست فرقة راقصة .. فرقة ماذا اذن ..

فرقة رش شوارع .. فرقة قزقة لب .. اسمع يا أستاذ .. انى سأرسل

في استدعاء البنث فوفا الراقصة .. وترقصها ..

وقال الأستاذ عبده في حدة :

- لن أرقص قوفا ولا غيرها ..

وصرخ برسوم :

- ستخرب بيتى يا عبده يا طبال .. الناس ستقوم وتحطم الصالة على دماغى ان لم نقدم لهم راقصة .. بل انى خائف ألا يرضوا بأى راقصة غير مباهج .. ألا تعرف قيمة مباهج .. انها كل شىء يا أستاذ .. ولم يستطع الأستاذ عبده أن يفر من إصرار برسوم على تقديم راقصة ، بل انه عندما فكر فى أن تمتنع الفرقة ليلتها عن العمل خاف أن يسلط عليه برسوم زبانيته من فتوات وخدم الصالة .. وتعهد ليلتها أن يطيل فى المقدمة الموسيقية ، وأن يعطى الطبلية مجالاً أوسع .. ليقنع نفسه أن الطبلية هى البريمادونا .. هى الراقصة .. وهى المايسترو .. وكأنه كان يحاول أن يدافع عن شرفه ويدارى جرحه ..

وانتهت المقدمة الموسيقية وظهر برسوم المليجى على خشبة المسرح يعتذر عن غياب الراقصة مباهج وكأنه يطلب الوقوف دقيقة حدادا على غيابها ثم قدم الراقصة فوفا .. واضطر الموسيقار عبده أن ينقر على الطبلية هذه النقرات الروتينية كدقات خشبة المسرح ليقدم بها الراقصة .. ثم اضطر أن يدق «مقسوم» وهى الدقة التى ترقص عليها الراقصة فوفا .. وأحس أنه عاد بالطبلية إلى حيث كانت .. عادت الطبلية إلى مؤخرة الراقصة .. وليلتها لم ينم وكأنه يبكى أحلامه ..

إن مباهج تتفكر .. انها تنتفخ بالغرور .. وجولها ناس يدفعونها إلى تحديه .. وإلى فرض مطالبها عليه .. وليعترف .. ان الفرقة فى حاجة إلى مباهج .. والطبلية لا تستطيع أن تستغنى عن مباهج .. ويجب أن يسيطر أكثر على مباهج .. أن يخضعها لأرادته .. كيف .. ليتزوجها .. لقد كان يرتفع بنفسه عن مستوى الطبالين الذين يتزوجون راقصات .. ولكن .. الشغل شغل .. وليستسلم للمقدور .. وعادت مباهج من طنطا فى صباح اليوم التالى ..

عادت تحمل سذاجتها وحياءها وذكاءها وكأنها لم تفعل شيئا

يمكن أن يغضب عبده الطبال .. وقال لها عبده بعد أن افتعل الترحيب بها مبتسما وبعد أن سمع كلامها عن زنوبة العالمة وعن الليلة التي أحييتها في طنطا :

- بت يا مباهج .. مارأيك .. لنتزوج ..

ونظرت إليه مباهج في دهشة .. لقد مضى الآن عامان منذ أن اشتراها من زنوبة ولم يعرض عليها أبدا الزواج بل انه لم يحاول أن يلمسها ولو على سبيل القزقة حتى ظنت أنه ناقص الرجولة فكل رجل يصادقها يحاول أن يقزقزها كما يقزقزون اللب ..

واختبأت وراء مظهر سداجتها وحيائها وقالت :

- بلا زواج .. أنا تحت أمرك ياسى عبده ..

وقال في حدة وهو يلوى شفثيه قرفا من هذه المرأة التى تعتقد أن الرجل يكفيه منها الجسد :

- قلت لك الزواج ..

وقالت وهى لا تزال تختبئ وراء مظهر حيائها :

- والنبي بلا زواج ياسى عبده .. أنا عمرى ما تأخرت عنك بشيء .. واشتدت حدته وقال كأنه ينهرها :

- إنى لا أريد شيئا .. الزواج لا يرتبط بشيء ..

ولكنى أتزوج لتصبح الفرقة الموسيقية فرقة شرعية ليس لأحد حق عليها ..

ثم خفت من صوته واستطرد مبتسما :

- إنها فرقتنا نحن الاثنين يا مباهج .. تعالى نعيشها نحن الاثنين ..

وقالت مباهج وقد بدأ ذكاؤها يغلب حيائها :

- إنى سأعمل بالسينما .. سى رفعت المديولى سينتج لى فيلما ..

وصرخ عبده الطبال :

- مادخل السينما فى الزواج ..

وقالت مباهج كأنها ترجوه :

— يقولون أن من تريد النجاح في السينما يجب أن تعرف بأنها لا تزال عذراء .. لم تتزوج بعد .. لي فكرة .. لنؤجل الزواج إلى أن أعمل في السينما وبعدها فأنا تحت أمرك ياسى عبده ..

وارتعش عبده غيظا .. انها لا تريد أن يعرف عنها أنها زوجة طبال وهى تحلم بالعمل في السينما ولعلها تتمنى أن تتزوج مخرجاً أو ممثلاً سينمائياً أو طبيباً كما يفعل باقى ممثلات السينما .. ان الطبال لا يمكن أن يشرف نجمة سينمائية .. وصرخ :

— أنا المسئول عنك في السينما وبلا سينما .. أنا عبده الطبال وانت لا تساوين شيئاً بلا طبله ..

وعادت تتوسل في حياء :

— لا تغضب منى ياسى عبده .. من أجل خياطرى عندك .. بلا زواج .. وصرخ بكل صوته :

— أنت طالق .. أنت طالق .. أنت طالق من الفرقة .. طالق من طبلتى .. طبلتى لا ترقص المومسات ..
— وكان كأنه جن ..

وقعلاً طرد مباحج من الفرقة .. وكأنه يعرف أن بـرسوم المليجى صاحب الملهى لا يمكن أن يقبله بلا مباحج .. وإذا قبله فيفرض عليه راقصة أخرى .. وهو يصر على أن يفرض وجوده كموسيقار .. الطبله وحدها تشد كل الجمهور .. وانسحب من ملهى البلابل وقدم نفسه للملهى ميامى .. بلا راقصة .. وصاحب الملهى يتردد .. فرقة من أربعة عازفين وبلا راقصة .. ولكنه لا يستطيع أن يجازف بأجر كبير .. عشرون جنيه في الليلة .. أقل من الأجر الذى بدأت به فرقة عبده الطبال عندما كانت معها راقصة والذى وصل إلى مائتى جنيه في الليلة الواحدة .. لا يهم .. ان عبده واثق أنه يستطيع دائماً أن يرفع أجره .. وبدأت الليلة .. الفرقة بلا راقصة .. أصابع عبده ترقص على

الطبلّة .. وأصابع مصطفى ترقص فوق الناي .. وأصابع محفوظ
ترقص فوق الجيتار .. وأصابع عبد الحميد ترقص فوق
الأوكورديون .. ولكن الجمهور لا يهتم بترقص الأصابع فوق النغم ..
إنه يريد رقص البطن ..

وليلة ثانية .. وثالثة .. وصاحب الملهى لم يجد مكانا عنده للفرقة
وقال معتذرا :

— أنت فنان عظيم يا أستاذ عبده ولكن فرقتك تصلح في حفلة
خيرية أو في حفلة خاصة ولا تصلح في كباريه ..

وخرج بفرقته يبحث عن ملهى آخر .. وكان يدفع من جيبه
لأعضاء الفرقة في ليالى البطالة .. وطالت ليالى البطالة .. واعتذر
مصطفى عازف الناي لانه وجد عرضا مجزيا .. واعتذر محفوظ
عبد الحميد عازف الأوكورديون لان عائلته انتقلت إلى الإسكندرية ..
ومباهج كونت فرقة موسيقية خاصة بها ..

وعبده الطبال ينهار ..

يجب أن يعترف ..

يعترف بالفشل ..

وسحب أنهياره وفشله وانضم إلى فرقة الأحلام الذهبية ..

وجلس بطبلته على حافة الفرقة .. على آخر مقعد من المقاعد ..

والكمان يتوسط الفرقة .. والجيتار يزغرد في المقدمة .. والأورج

يطلق زفة من جميع الأنغام .. و .. و ..

والطبلّة بعيدة ..

إنها مؤخرة الراقصة ..

وانتهت الراقصة علوية من رقصتها ..

واسقط عبده الطبال رأسه بين كفيه مستندا على طبلته وكأنه

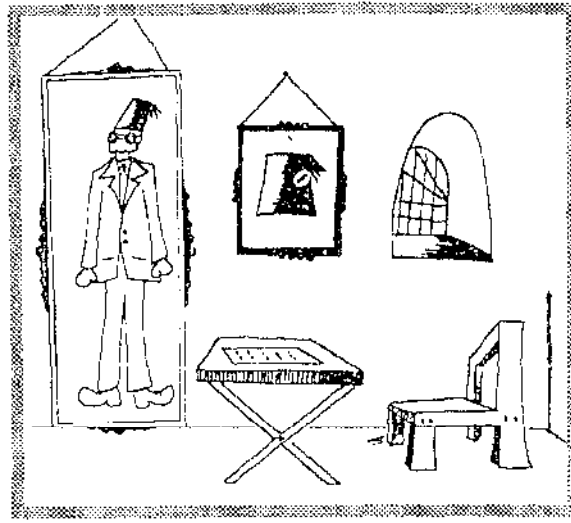
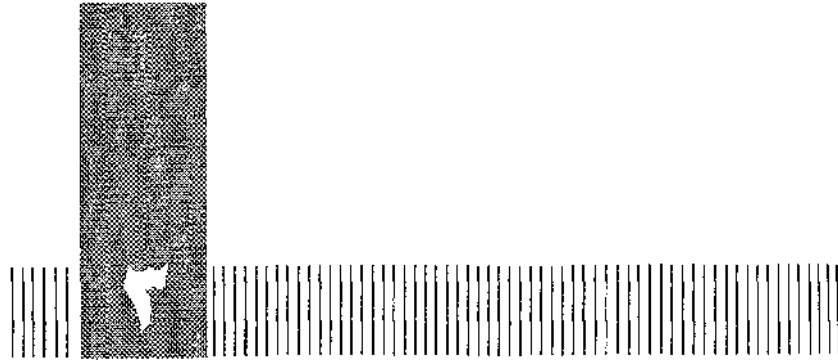
يبكى .. واقتربت منه الراقصة علوية ولمست كتفيه في اشفاق وقالت في صوت كأنه يترجم عليه :

-مالك ياسى عبده .. قم معى .. انى خالية الليلة وتحت أمرك ..
ورفع عبده الطبال رأسه صارخا :

-أبعدى عنى يا امرأة ..

ورفع الطبلية بين يديه وكأنه يهم أن يلقي بها ويحطمها فوق الأرض .. ولكنه توقف .. واحتضن الطبلية إلى صدره وابتعد عن الراقصة ..

تمت



قبل الوصول

الى سه الانتحار

قبل الوصول

إلى سن الانتحار

كان الأستاذ شفيق عبدالغفور أستاذ اللغة العربية يطوف بين صفوف الطلبة الممتحنين في الثانوية العامة وهو متجهم الوجه حاد النظرات، وربما كان يفتعل هذا التجهم وهذه الحدة حتى يحذر الطلبة من الغش ويبدو أمامهم وكأنه مراقب لا يرحم، ولكن تجهمه كان في الواقع يعكس حالته النفسية.. حالة تضج بالقرف واليأس والضياع وإحساس عجيب بأنه مقبل على الانتحار..

إنه في انتظار أن يصدر بعد شهرين قرار إحالته على المعاش.. ما هو المعاش.. إنه قرار من الدولة تأمر فيه الموظف بالانتحار.. الانتقال من الحياة إلى القبر.. حتى لو كان القبر الذي أعدته له الدولة هي مقهى عكاشة..

ولعله يستطيع أن يهرب من الانتحار بالتفرغ لإعطاء الدروس الخصوصية.. إن دخله الشهري من الدروس الخصوصية وصل في بعض السنوات إلى ثلاثة أضعاف مرتبه ولو كان الطلبة المقتدرون يواظبون على الدروس الخصوصية من أول العام الدراسي حتى آخره فربما كان الآن قد استطاع أن يشتري شقة تمليك في العمارة الجديدة التي تبنى بجانبهم وتكاد تطبق على أنفاس العمارة القديمة المتداعية التي يقيم في شقة في الدور العلوي منها منذ ثلاثين عاماً..

ولكن أهالي الطلبة لا يحتاجون إلى الدروس الخصوصية إلا قبل الامتحان بشهرين.. وربما كان الطالب نفسه لا يريد الدرس الخصوصية لا لأنه واثق في نفسه ولكن لمجرد ألا يتعب نفسه ويضع بوزة في بوز مدرس ساعة أخرى بعد ساعات المدرسة.. والأهل هم الذين يفرضون عليه هذه الدروس وهم يلجأون إليها لا حرصا على ثقافة ابنهم والارتفاع بمستواه العلمي ولكن كرشوة يدفعونها للمدرس حتى ينجح ابنهم في الامتحان.. كل شيء بثمنه.. والنجاح في امتحان المدرسة له ثمن.. وهم يحسبونها بالقرش.. إن الدروس الخصوصية ستكلف الأب خمسين جنيها لو دفعها فسيوفر على نفسه تكاليف إعادة السنة الدراسية لو سقط ابنه في الامتحان.. لا يهمه شيء إلا الامتحان حتى لو نجح ابنه بالغش.. المصيبة ليست في الطلبة ولكنها في الآباء.. وهو دائما يحس بأنه يمد يديه إلى الأب ليأخذ رشوة.. يحس من نظرة الأب وهو يدفع ومن ابتسامته الصفراء ومن الكلمتين السخيفتين اللتين يرددهما.. الاعتماد على الله ثم عليك يا أستاذ.. والأهل يحملونه المسؤولية لو سقط الابن حتى لو نجح في امتحان اللغة العربية التي يدرسها له وسقط في امتحان الحساب..

وقد كان حريصا دائما على أن ينجح طلبة الدروس الخصوصية في امتحان اللغة العربية.. كان حريصا على أن يحتفظ باسم تجاري كأستاذ لا يسقط من بين يديه طالب في امتحان.. وربما كان حرصه يدفعه إلى تسهيل الامتحان على طلبته.. طلبة الدروس الخصوصية.. أن يحدد لهم الأسئلة ويدربهم على الأجوبة وهو غالبا ما يكون على علم بأسئلة الامتحان.. أن مكانته وعمره الطويل في التعليم يوفران له طرق الوصول إلى الأسئلة حتى أسئلة الامتحانات العامة كإمتحان الثانوية العامة.. انهم يقولون أن ذلك جريمة.. غش.. كيف يكشف

عن الأسئلة أمام الطالب قبل الامتحان .. وقد أقنع نفسه أن هذا كلام فاض .. إن المدرسة الحديثة في التعليم لم تعد تخفى عن الطالب الأسئلة ولم تعد تتقيد بما يعتبر غشا. الامتحان لم يعد هو امتحان الذاكرة ولكنه أصبح امتحان القدرة على البحث والتقصي للوصول إلى الاجابات الصحيحة حتى أنه أصبح يسمح للطالب أن يأخذ كتيبه معه أثناء الامتحان ويقلب في صفحاتها حتى يقدر أنه وجد الاجابات الصحيحة.. وهو مؤمن بالمدرسة الحديثة.. إنه يعطى الأسئلة للطلبة ويعلمهم الاجابة عليها فهم على الأقل تعلموا في حدود هذه الأسئلة بعد أن كانوا جهلة في كل المادة التي يدرسونها.. ولكن لماذا لا يطبق منطق المدرسة الحديثة إلا على طلبة الدروس الخصوصية؟

لأنهم الطلبة الذين يعرفهم.. إنه لا يعطى دروسا خصوصيا إلا لعشرة تلاميذ وعلى الأكثر عشرين.. يعرفهم واحدا واحدا ويعرف عائلاتهم ويعرف عقلياتهم فيستطيع بذلك أن يعتبر نفسه مسئولاً عن كل منهم.. ولكنه لا يستطيع أن يتعرف على مائة طالب وأكثر ويعتبر نفسه مسئولا عن كل منهم.. إن عدد الطلبة في الفصل الواحد يصل إلى ستين طالبا وهو مسئول عن ثلاثة فصول.. كيف يستطيع أن يتعرف على كل منهم بل كيف يستطيع أن يتذكر وجوههم.. زمان كان هو نفسه طالبا كان العالم عالما آخر.. كانوا عشرين تلميذا في الفصل.. وكان الأستاذ يعرفهم واحدا واحدا وكانوا يعرفونه كأئهم يعيشون معه في بيت واحد.. كان للمدرس هيبة يرتعش أمامها التلميذ.. وكان التلاميذ يقفون له ويضربون له تعظيم سلام فإذا مد يده ليصافح واحدا منهم انحنى التلميذ ليقبل يد المدرس.. وكما قال شوقي:

قف للمعلم وفه التبجيلا.. كاد المعلم أن يكون رسولا..

كانوا زمان يقولون هذا الكلام عن الأستاذ.. أما الآن فالمدريس ليس

رسولا.. إنه موظف يجرى وراء لقمة العيش ولا أحد يقف له تبجيلا..
حتى طلبة الدروس الخصوصية.. إنه ليس بينهم رسولا ومبجلا
بل مرتشيا يأخذ رشوة لإنجاحهم.. وهم في قرارة أنفسهم يكرهون
الساعة التي يقضونها جلوسا أمامه ويطلبون له فنجان القهوة وبين
شفاههم ابتسامات ساخرة كأنهم يحسبون فنجان القهوة علاوة
يمنحونها له فوق أجره.. وهو في قرارة نفسه يبادلهم نفس الشعور..
إنه يتعهد بإنجاحهم في مادة اللغة العربية ولكنه في نفس الوقت
يتمنى أن يرسبوا في بقية العلوم لأنهم لا يستحقون النجاح.. هذا
الجيل لا يستحق النجاح وإذا نجح فنجاحه مزور.. مزيف.. نجاح
الواسطة..

وبعد شهرين سيصبح على المعاش..
المعاش معناه أن يخلع ثياب الشغل.. أن يتعري.. ولا يمكن أن
يساعده شيء حتى الدروس الخصوصية على تغطية عورته.. عورة
المعاش.. عورة فقدان الشخصية.. شخصية الوظيفة.. سيسير بعدها
بين الناس كأنه يحمل كفته ويستجدي الحياة..



ورفع الأستاذ شفيق عبدالغفور رأسه ونفخ صدره وشد على
وجهه المتجهم ونظراته الحادة وأخذ يدور بين صفوف الطلبة
الممتحنين.. لا تلتفت إلى جارك يا أفسدى.. الكلام ممنوع يا حضرة..
ويقف خطوة بجانب كل طالب كأنه يقوم بعملية تفتيش.. وهمس له
طالب:

— لا أفهم هذا السؤال يا أستاذ..

ونظر إليه الأستاذ شفيق.. إنه ليس أحد طلبة الدروس
الخصوصية بل ليس طالبا له.. إنه لا يعرفه ولا يمكن أن يكون
مستولا عنه وقال في غل وهو يبتعد عنه سريعا:

— قد تفهمه العام القادم..

وطالب آخر وضع أمامه على مائدة الامتحان مصحفا كبيرا.. انكم لا تعرفون المصاحف إلا أيام الامتحان ولا شك أنك صليت الفجر حاضرا وصليت التراويح.. وربما قضيت ليلتك أمس بجانب ضريح الحسين تبركا به لعله يشفع لك عند الله حتى ينقذك من المصيبة الكبرى.. مصيبة الامتحان.. يا كفرة.. إنكم تفترضون أن الله لا يعلم ما في صدوركم وما في نياتكم.. إنكم تتعاملون مع مدرس المدرسة فتعطونه رشوة قبل الامتحان بشهر أو شهرين كما ترشون المدرس بأجر الدروس الخصوصية.. الله يا مغفلون ليس في حاجة إلى رشوة.. ليس في حاجة إلى الصلاة له.. إن الصلاة منحة من الله للإنسان حتى يظهر بها نفسه وينظم وينظف بها حياته وليس الصلاة منحة من الإنسان لله.. وتذكر الأستاذ شفيق أيام صباه عندما كان في عمر هؤلاء التلاميذ.. لقد كانوا يعيشون الإسلام.. وكان الله معهم في كل لحظة ومحمد الرسول في خواطرهم كأنه يقيم معهم في نفس البيت.. وقد بدأ يصلي وهو في الثالثة من عمره تقليدا لأبيه وأمه وأخوته.. كان الطفل يحس بأنه لا يمكن أن يكبر ويكون رجلا إلا إذا صلى والبنات تحس أنها لا يمكن أن تصبح امرأة إلا إذا صلت كأمه.. كانت البنات يتعاقبن ويتفاخرن بالصلاة كما يتعاقبن هذه الأيام برقصة التويست والروك وكانوا يعايرون الطفل الذي لا يصلي ويهملون وراءه بأنه كافر وسيشوى في النار.. وهو قد انتظم في الصلاة منذ كان في الخامسة من عمره وحفظ جزء عم من القرآن وهو لا يزال في المدرسة الأولية وقرأ القرآن كله وهو في المدرسة الابتدائية..

وكان أبوه يجمع العائلة كلها للصلاة خصوصا صلاة المغرب وكانوا ينتظمون خلفه في فرجة كما ينتظمون حول مائدة العشاء.. العشاء الروحي.. غذاء النفس.. بل إنه يذكر أن أباه اكتشف فجأة أن

الصلاة لا تجوز وساقا الرجل مكشوفتان حتى ركبتيه.. وكان أيامها يذهب إلى المدرسة الابتدائية وهو بالبنطلون القصير الذي يكشف عن ساقيه حتى ركبتيه.. وكان يصلى في المدرسة خصوصا صلاة الظهر.. فماذا يفعل.. كيف يصلى وساقاه مكشوفتان.. وجد أبوه الحل.. أصبح يذهب إلى المدرسة وفي حقيبته جورب طويل يغطى قدميه حتى أعلى ركبتيه إلى ما تحت حافة بنطلونه القصير فإذا ما حان وقت الظهر وضع ساقيه في الجورب وصلى.. أيام المؤمنين وأبناء المؤمنين.. لقد كان في كل مدرسة جامع.. أما الآن فربما تجد في المدرسة مصلى مهمة مختبئة كأنها عورة لا تجمع إلا بعض السعاة وبعض المدرسين يؤدون الصلاة هربا من وجه حضرة الناظر وهو ما يدفعهم إلى الإفراط في إيمانهم فتطول بهم الصلاة ساعة أو ساعة ونصف الساعة.. يا منافقون.. إن الله أدرى من حضرة الناظر بما في صدوركم..

وابتسم الأستاذ شفيق بينه وبين نفسه ابتسامة مسكينة كأنه يعزى بها نفسه.. إنه يعترف أنه عاش مرحلة أهمل فيها فريضة الصلاة.. أصبح يكتفى بصلاة الصبح وأحيانا يهمل أيضا صلاة الصبح، وأبوه لا يحاسبه ولا يراجع ثقة فيه ولأنه كان يحرص إذا ما حان وقت الصلاة وهو بجانب والده وقام الوالد يصلى صلى معه.. وازدادت ابتسامته مرارة وهو يتذكر أنه حدث أن صلى بجانب أبيه دون أن يتوضأ حتى يقنع أباه بأنه كان قد أعد نفسه للصلاة وربما تكاسلا عن الوضوء خصوصا في أيام برد الشتاء.. إهمال.. شقاوة شباب.. أو لعله أيامها كان يجتاز سن الضياع.. السن التي لا يكتفى فيها المخلوق بما يقال له ولا بما يكتب له حتى لو كان القرآن.. أنه يريد أن يكتشف كل شيء بنفسه.. أن يكتشف الله.. كيف يكتشف الله.. مستحيل.. ويضيع فهمه.. إنه ضائع في فهم كل ما يعيشه..

ضائع حتى في فهم هذا الزى الذى يرتديه.. من فرضه عليه.. ومن اختار له هذا البنطلون وهذا الجاكت وهذا القميص وهذا الكرافت، ولماذا لم يختار له الجلابية أو القفطان أو السروال الاسكندرانى.. ولماذا يستسلم لما هو مفروض عليه.. لماذا لا يذهب إلى المدرسة وهو مرتد الجلابية.. ولماذا لا يتصور الله كما يصوره له خياله لا كما يصورونه له.. ومع هذا الضياع يتمزق كل شىء.. يتمزق الخير ويتمزق الشر ويتداخلان بعضهما في بعض فلا يدري أين الخير ولا أين الشر..

وتنهذ الأستاذ شفيق حسرة على نفسه.. لقد عاش هذا التمزق.. وبسرعة خطا الأستاذ شفيق كأنه تذكر شيئاً واتجه إلى حيث يجلس الطالب الذى يضع أمامه المصحف الكبير.. ثم رفع المصحف بين يديه وأخذ يقلب في صفحاته صفحة صفحة يتمعن وتدقيق..

إنه تذكر أنه حمل معه وهو في امتحان البكالوريا مصحفا كهذا.. أصغر قليلا من هذا المصحف.. ولم يحمله لمجرد التبرك ولكنه كان يعاني جهلا في اللغة الانجليزية وكانت أيامها هي اللغة الثانية لا يستطيع الفرار منها ويجب أن ينجح بها إذا أراد أن يكون من حملة البكالوريا.. فكيف ينجح وجهله يصل به إلى درجة الصفر.. واستعان بكتاب الله وسجل بين كلماته كل الكلمات الانجليزية التي قدر أنها يمكن أن تعينه على النجاح.. إن القرآن أنزل لإنقاذ وإسعاد البشرية وهو لا يخرج به عما أنزل له.. انه يلجأ إليه لإنقاذ نفسه من السقوط وإسعاد نفسه بالنجاح.. ويومها وضع المصحف أمامه على مائدة الامتحان كما يفعل هذا الطالب.. ولكن المراقب لم يرحمه.. كانت المراقبة على أيامه أشد وأعنف مما هي عليه الآن.. وكان عدد الطلبة قليلا تسعهم عينا المراقب.. وقد جاء إليه وأمره أن يرفع هذا المصحف من أمامه ويضعه في جيبه وهو يقول له أن التبرك

والاستعانة بالله هما بالإيمان وليس بالتعلق بما لمظهر.. وقد اضطر يوماً أن يخفى المصحف في جيبه ثم غافل المراقب وأخرج المصحف وأخذ يبحث بين صفحاته.. وضبطه المراقب وانقض عليه ولكنه لم يقبض عليه إنما عاد يقول له في حزم.. إذا أردت أن تخفف عن نفسك بالقرآن فيكفيك ترديد الفاتحة.. ولم يجرؤ بعدها على اللجوء إلى المصحف.. وسقط في البكالوريا.. ملحق في اللغة الانجليزية.. وقد نجح في الملحق ونال البكالوريا بعد أن قضى أجازة الصيف وهو يتلقى دروساً خصوصية في اللغة الانجليزية من مدرس المدرسة مستر «طومسون»..

لقد كان بينه وبين مستر «طومسون» ثار قديم فهو الذي حرّض التلاميذ على ضربه وتمزيق ثيابه وخطف ساعته في مظاهرات عام ١٩٣٥ كان ضرب «طومسون» هو ضرب بريطانيا والتحرر من «طومسون» هو التحرر من الاستعمار البريطاني.. وعندما ذهب إليه وهو في حاجة إلى الدروس الخصوصية بدأ مستر «طومسون» ينتقم.. لقد صمم على أن يكون الدرس الواحد بجنيه كامل رغم أنه كان يتعامل مع بقية الطلبة بسبعين قرشاً للدرس واشترط أن يذهب إليه شفيق في بيته لا أن يذهب هو إليه.. وقبل شفيق وقبل والده أن يدفع فقد كانت البكالوريا أيامها في قيمة وسام الاستحقاق هذه الأيام.. ولم يكتف «طومسون» بهذا بل كان لا يكف خلال الدرس عن إهانة شفيق.. أجب يا حمار.. أفهم يا غبي.. إنكم لا تسأون شيئاً لماذا لا تبقون في بيوتكم وتكتفون بالقول المدمس.. وقد كان المدرسون أيامها يتمتعون بحق لعن أي تلميذ ما عدا مستر طومسون وبقية المدرسين الانجليز خصوصاً بعد ثورة ١٩٣٥.. ولم يكن يستطيع التهجم على تلميذ وهو في المدرسة وأمام بقية التلاميذ.. ولكنه الآن ينفرد بشفيق في بيته ويمتع نفسه بحق لعنه.. وعندما ثار شفيق مرة

قام طومسون وشده من رقبتة وأوقفه أمامه قائلاً.. الآن.. يجب أن ندخل في مباراة للملاكمة رداً للشرف.. ولم يكن شفيق يستطيع أن يلاكم ولو قاراً.. طول عمره يحتفظ بقوته في لسانه.. وانهال عليه طومسون بلكماته حتى اكتفى.. ثم احتضنه ضاحكاً معتذراً بأسلوب التقاليد الانجليزية.. لا يهم.. لقد نجح سنتها في امتحان الملحق ونال شهادة البكالوريا.. علاقة وفرت عليه عاماً من عمره.. ولو أنه قد سقط في الامتحان..

وشفيق واقف يقلب في صفحات المصحف الكبير الذي رفعه من أمام الطالب.. انه لا يستطيع أن يكشف شيئاً مكتوباً بين كلمات القرآن الكريم.. هو أيضاً استطاع أن يكتب الكلمات الانجليزية بين الآيات المباركة دون أن يكشفها أحد.. أيام زمان.. أيام الضياع والتمزق.. وقد كفر عن كل هذه الأيام.. إنه منذ وصل إلى الدرجة الرابعة وقد وهب نفسه لله.. لم يعد يكتفى بصلاة الفرض بل يصلي معه السنة والتراويح.. ولم يعد يكتفى بقراءة القرآن الكريم ولكنه يرتله بينه وبين نفسه.. ويتغنى به بعد أن حرم على نفسه التغنى بأغاني أم كلثوم أو عبد الوهاب أو هذه النهقات التي تملأ آذان شباب هذه الأيام.. وقد أدى فريضة الحج مرتين.. لماذا لا يقرر الانتحار في مكة.. يقصد أن يقضى سنوات ما بعد المعاش يعمل مدرساً في السعودية.. يسر لي يا رب..

وأعاد المصحف إلى مكانه أمام الطالب وهو يقول له.. التبرك والاستعانة بالله يكونان بالإيمان لا بالتعلق بالمظهر..

وابتعد عن الطالب..

ولكنه لن يرحمه من مراقبته..



والاستاذ شفيق عبدالغفور يلف حول صفوف الطلبة الممتحنين في

شهادة الثانوية العامة وهو لا يزال مصرا على الاحتفاظ بوجهه المتجه ونظراته الحادة.. وإذا التقت به عينا طالب نظر إليه في سخط وقرق حتى يبدو كأنه يهم أن يبصق في هذا الوجه المتجه.. لماذا لا يتركهم في حالهم ويستريح جالسا في هذا الركن أو ذلك كما يفعل بقية المراقبين.. إن هناك مراقبين يبدون كفضب الله ومراقبين يبدون كرحمة الله..

والأستاذ شفيق لا يهمه إن كان ثقيلا أو خفيفا على قلوب الطلبة.. كل ما يهمه هو أن يرضى الله ويرضى ضميره ولم يفسد هذا الجيل إلا أنه لم يعد مهما لديه إرضاء الله ولا إرضاء الضمير يكفي إرضاء الرئيس.. أى رئيس..

وتعلقت عينا الأستاذ شفيق بطالب يجلس متفرغا كله لأوراق الامتحان كأنه يطلق معها بعيدا عن زملائه وبعيدا عن اللجنة.. وهو مرتد قميصا لامعا على لحمه.. وساقاه ممتدتان تحته داخل بنطلون ضيق أزرق مما يسمونه بلوجينز وشعره الطويل مهدل فوق قفاه وفوق جبينه..

إنه من هذا النوع من شباب هذه الأيام..

إنه حاتم وهو يعرفه رغم أنه ليس من طلبة الدروس الخصوصية.. كل المدرسة تعرفه.. إنه من هذا النوع من الطلبة الذي لا يحدد نشاطه في مجال واحد.. إنه في كل مجال.. تحس به في مجال الرياضة.. وفي الفن.. وفي مجال الرحلات المدرسية.. وفي كل حفلة.. وهو مؤدب جدا.. وسافل جدا.. وهادئ جدا.. ومجنون جدا.. ومحبوب جدا.. ومكروه جدا.. إنه دائما «جدا».. في أقصى درجات التطرف.. ويصل إلى درجة جدا في إطلاق شعر رأسه وفي اختيار ثيابه الغريبة المحزنة جدا.. وربما كان ما يغفر له دائما أنه أيضا ناجح جدا.. النجاح الذي يغيظ أحيانا بعض المدرسين لأنه لم يكن في

حاجة أبدا إلى درس خصوصي ولم يسقط أبدا في امتحان، وربما كان هذا هو السبب الذي جعلهم يتجمعون ضده ويسلطون عليه ناظر المدرسة حتى يقص شعره ويقلع عن ارتداء هذه القمصان الحريرية الشفافة فوق لحمة وهذه البنطلونات المحرقة.. وقد استجاب لهم يوما فعاد إليهم وقد قص شعر رأسه ملليمترين لا أكثر وعندما لم يسكتوا عنه عاد إليهم وقد قص شعر رأسه بالموس وارتدى معطفا واسعا ينزل حتى قدميه فأصبح منظره أكثر إثارة داخل المدرسة.. منظر مثير جدا ومضحك جدا.. كأنه تعمد بهذلة وإغاظه المدرسين الذين طالبوه بقص شعره..

وعاد الأستاذ شفيق يبتسم بينه وبين نفسه وهو يتذكر نفسه في الثلاثينيات، لقد ظهرت أيامها موضة البنطلونات الواسعة فوق القدمين.. واسعة جدا حتى تغطي الحذاء كله.. وكانوا يسمونها بنطلونات شارلستون.. وقد حاول أيامها الابتعاد بنفسه عن هذه الموضة.. إنه طالب هادئ متدين ولا يصح له الانقياد إلى هذه التقاليع.. ولكن لماذا.. إنها موضة حشمة لا تكشف عورة بل إنها أقرب إلى الاقتباس من زى الجبة والقفطان اللذين يتسعان فوق الحذاء.. ربما كان أيامها يحاول أن يقنع نفسه كما تقنع البنات أنفسهن هذه الأيام بأن ارتداء البنطلونات أكثر حشمة من ارتداء الثوب القصير رغم أنهم يعلمون أن البنطلون أكثر إثارة حتى من المايوه.. إنه تحديد صريح لكل مفاتن الجسد وكل عوراته.. لقد حرم على ابنته ارتداء هذه البنطلونات منذ أن ظهرت.. ولكنه.. على أيامه.. لم يستطع أن يقاوم الشارلستون، وعندما ذهب إلى الترنز ليفصل له بدلة العيد أوصاه ببنطلون شارلستون.. وثار والده.. ولكن والده لم يستطع شيئا ربما لأنه كان قد دفع ثمن البدلة وإن كان قد قضى شهورا يعايره بهذا الشارلستون كما يعايرون طلبة هذه الأيام بالبلوجينز..

ومن البنطلون الشارلستون ظهرت موضة أخرى لشباب الثلاثينات.. موضة البريانتين.. وكانت التقاليد أيامها تفرض على الطلبة أن يقصوا شعورهم نمرة «٢».. أى أن يكون الشعر قصير كشعر رأس طلبة الكلية الحربية.. ولكن مع ظهور البريانتين بدأت الشعور تطول ولم تصل إلى ما وصلت إليه شعور شباب هذه الأيام من الطول ولكنها وصلت إلى مستوى الامتداد حتى حافة الأذنين ثم تدهن بالبريانتين.. هذا العجين اللزج.. فيبدو الشعر مضغوطا لزجا يلمع ويبرق كأن الشباب يحمل فوق رأسه كloba مضيقا.. وهو لم يستطع أن يقاوم أيضا موضة البريانتين.. إن الشباب يندفع إلى كل ما هو جديد.. ولكنه لم يستطع أن يواجه والده فاشترى البريانتين من مصروفه الخاص وكان يدهن به شعره في الخفاء وهو خارج البيت ثم يعود ويغسل شعره بالماء الساخن والصابون قبل أن يراه والده.. وتحمل طويلا ثورة والده عندما بدأ يترك شعره يطول مستعينا بأمه في تهديته الثورة.. كل الأولاد طالت شعورهم يا أبو شفيق.. ولكنه عاد من تلقاء نفسه وقص شعره نمرة «٢» قبل الامتحان بشهرين تبركا بالتقاليد ولأن الحشمة من الإيمان والإيمان مهم جدا أيام الامتحانات.



وخفت حدة نظرات الأستاذ شفيق وهو ينظر إلى حاتم كأنه يغفر له شعره الطويل وبنطلونه البلوجينز ولكنه عاد بسرعة واحتدت نظراته.. إن لهذا الطالب ذكرى لا يستطيع أن يغفرها له.. لقد كان منذ عامين تلميذا أمامه في الفصل وكان متعبا لا يكف عن إثارة المشاكل.. وهو يستطيع أن ينسى دائما مشاكل الطلبة إلا مشكلة سببها له هذا الطالب..

كان مديرا ظهره للتلاميذ داخل الفصل وهو يكتب على السبورة

درساً في قواعد النحو وإذا به يسمع صوت موسيقى تضح في الفصل.. موسيقى راقصة.. وانتظر قليلاً كأنه لا يصدق أذنيه ثم أدار ظهره بسرعة ليواجه التلاميذ وبنفس السرعة سكنت الموسيقى ورأى التلاميذ ينظرون إلى خارج نوافذ الفصل كأن هذه الموسيقى جاءت من الخارج.. لا يمكن.. إنه ليس مغفلاً.. وصرخ.. من الخسيس عديم التربية الذي فعل هذا.. ولم يجب أحد من التلاميذ.. وبسرعة انطلق نحو التلميذ حاتم وفتح غطاء الدرج الذي يجلس إليه.. لا بد أنه قد أخبأ فيه فونوغرافاً أدار عليه اسطوانة انطلقت منها هذه الموسيقى. ولكن لا شيء في درج حاتم.. وعاد يصرخ.. من فعل هذا هو عار على أهله وعلى المدرسة.. ويستحق الشنق.. وتريث قليلاً حتى هدأت نفسه ثم عاد يدير ظهره إلى السبورة ليستكمل ما كان يكتبه.. وفي نفس اللحظة انطلقت الموسيقى الراقصة.. وعاد يواجه التلاميذ ليحدثهم ينظرون في براءة من خلال نوافذ الفصل..

وصرخ:

— كل تلميذ يفتح الدرج الذي أمامه..

وقتح كل تلميذ درجه وهو يقذف بغطائه بعنف فتتوالى في الفصل فرقعات كأنها صوت بنادق تطلق.. ومر على الأدرج.. لا شيء.. إلى أن وصل إلى درج التلميذ محمد عبدالعاطى فوجد فيه ريكوردر صغير في حجم كف اليد.. آلة غريبة عليه لم يعرف أنها ريكوردر إلا بعد أن حقق فيها.. ولكن مستحيل أن يكون عبدالعاطى هو صاحب هذا الريكوردر ولا هو الذي أداره.. إنه أهدأ تلميذ بين الخمسين تلميذاً الذين يجمعهم الفصل.. وهو مقرط في تدينه.. وبصراحة هو أفقرهم.. لا هو ولا أبوه يمكن أن يعرفا مثل هذا الريكوردر.

وأخذ الأستاذ شفيق الريكوردر بين يديه ثم أمر جميع تلاميذ الفصل بأن يبقوا أدرجهم مفتوحة ويقفوا على أقدامهم ويظلوا

وقوفا.. ثم نادى التلميذ حاتم وأمره أن يخرج من الفصل وينتظره عند باب حجرة حضرة ناظر المدرسة.
 وخرج حاتم من الفصل بلا مبالاة وهو يعبث بأصابعه في شعره الطويل..

وقال الأستاذ شفيق:

— يا عبدالعاطى انى متأكد أن هذا الريكورد لا يخصك..

وقال عبدالعاطى فى صوته المريض:

— لا .. لا يخصنى..

وقال الأستاذ شفيق:

— من أعطاه لك؟

وقال عبدالعاطى كأنه يهم بالبكاء:

— لم يعطه لى أحد..

وقال الأستاذ شفيق فى حدة وغيظ:

— ولكنى وجدته فى درجك..

وقال عبدالعاطى وكأنه يرتعش:

— حضرتك الذى وجدته.. لا أنا.

وصاح الأستاذ شفيق:

— يا عبدالعاطى لا تكذب.. إننى أعرف أنك تصلى وأنتك مؤمن

والكذب حرام..

وقال عبدالعاطى بصوته الباكى:

— أنا لا أكذب ولا أعرف شيئا..

و...

ولم يستطع الأستاذ شفيق أن يصل إلى شىء.. لا عبد العاطى ولا أحد من الخمسين تلميذا يريد أن يتكلم.. أو يعترف بشىء.. وكانت حصّة اللغة العربية قد انتهت وترك شفيق التلاميذ وذهب إلى

حضرة الناظر يشكو إليه حاتم.. يجب أن تتخذ إجراءات تكون عبرة لأمثاله من التلاميذ.. ولكن لا شيء يثبت ضد حاتم وكل ما وعد به حضرة الناظر هو أن يستدعى ولي أمره ويشكو إليه.. وشفيق لا يزال يحتفظ بالريكورد معه وهو بينه وبين نفسه يتعجب من الخطة التي وضعها التلاميذ.. كيف استطاعوا أن ينقلوا هذا الريكورد بهذه السرعة حتى وضعوه في درج عبدالعاطي.. والتلاميذ يتحايلون عليه أن يعيد إليهم الريكورد يا أستاذ.. الريكورد يا شفيق أفندي.. وهو يتجاهلهم إلى أن مر أكثر من أسبوعين وكان التلاميذ حريصين خلالها على ألا يضايقوا الأستاذ شفيق فترك لهم الريكورد على المائدة المخصصة له داخل الفصل عند انتهاء الحصة كأنه لا يريد أن يعرف صاحبه..

وهو متأكد أن التلميذ حاتم هو صاحب هذا الريكورد.. إنه من الطبقة التي تعيش مع هذه الأشياء وتعيش الموسيقى الراقصة.. لا شك أنه يرقص كل يوم مع فتاة من الذين يسمع عنهن.. فتيات نادى الجزيرة وخلافه.. وقد رآه مرة مع فتاة في حديقة الأندلس.. كان الأستاذ شفيق قد صاحب زوجته يوم الجمعة إلى هذه الحديقة ورأى حاتم وفتاته.. فارتبك شفيق.. من الذي أتى بهذا التلميذ إلى هنا.. إنه من طبقة ليست في حاجة إلى الحقائق العامة.. تكفيهم حقائق النوادي وحدائق ترعة المنصورية.. ثم إنه لا يجب أن يرى أحد من تلاميذه زوجته.. ليس لأن زوجته فضيحة ولكن لأنه لا يجب أن يرفع الكلفة بينه وبين التلاميذ.. إنهم سيجعل من زوجته نكتة يتندرون بها عندما يبدأ حاتم في وصفها لهم.. وقد حاول يومها أن يتدارى بزوجته بعيداً عن حاتم وعندما وجد نفسه في مواجهة تجاهله وكأنه لا يعرفه..

وأبتسم الأستاذ شفيق بينه وبين نفسه مرة.. الحمد لله أنه التقى

بالتلميذ حاتم في حديقة الأندلس، لقد سبق أن التقى بتلميذ آخر من تلاميذه في صالة صفية حلمي.. كان ذلك قبل أن يتزوج وكان من حقه أن يعيش شبابه حتى ولو كان مدرسا.. وكان قد خصص كل ليلة جمعة ليعيش هذا الشباب ومن ضمن ما عاشه التردد على الصالات مع أصدقائه.. وفوجيء عندما وجد هذا التلميذ أمامه في الصالة.. لم يكن يصدق أن الصبية في سن السادسة عشرة والسابعة عشرة يمكن أن يترددوا على الصالات.. واحتار يومها هل يحتفظ في الصالة بشخصية الأستاذ أمام التلميذ أم ينسى أنه أستاذ وأن هذا تلميذ.. كلاهما من زبائن الصالة.. وقد حرص كل منهما في بداية الليلة أن يتباعد عن الآخر.. ولكن الأستاذ بدأ يخشى التلميذ.. إنه سيعلم الخبر ويتندر به بين باقي التلاميذ.. من الأفضل أن يتقرب إليه ويكسبه حتى يأمن شره.. وفعلًا تعمد ليلتها أن يبتسم للتلميذ من بعيد ورحب التلميذ بابتسامته وجاءه مصافحا واضطر الأستاذ شفيق أن يدعوه إلى كأس.. ماذا تشرب.. ويسكي.. وضحك شفيق وهو يردد نكتة بايخة.. من يصطاد الآخر.. أنت تصطاد الويسكي أم الويسكي يصطادك.. وطلب للتلميذ كأس الويسكي.. ولكنه لم يتمسك به على مائدته وتركه يعود وينضم إلى بقية أصدقائه بعد أن اتفقا على أن يكونا أصدقاء..

والصدقة إثم على السر، ولن يعلم أحد بمجال صداقتهم.. أثقل صداقة تحملها الأستاذ شفيق في حياته..

وانطلقت ضحكة داخل صدر الأستاذ شفيق من خلف وجهه المتجهم وعينيه الحادتين وهو يعود بنفسه إلى ذكريات الثلاثينات.. لقد حدث أيامها نفس الشيء.. كان قد وصل إلى السنة الثانية في المدرسة الثانوية وكان قد اكتمل سن البلوغ.. أصبح يعاني حاجته كذكر مكتمل.. ولكنه لم يكن جريئا حتى يكشف عن حاجته وكان

يكتفى من فرحته بمتعته الجديدة بالاعتماد على نفسه، وربما كان مفرطاً في استنزاف نفسه ولكن هكذا كل الصبية في أوائل سن البلوغ.. إلى أن عرف صديقه «مهدى» وجاء مرة يدعو.. إلى أين.. إلى «وش البركة».. إنه يسمع عنها ولا يعرفها.. ومهدى يعايرها.. ألسنت رجلاً بعد.. يا خبيتك.. إن الليلة ليلة الجمعة.. واستسلم وذهب معه إلى حي الدعارة.. محترفات بيع المتعة وتعلم.. تعلم المرأة وتعلم ليلة الجمعة وأدمنها وكان أيامها في الرابعة عشرة من عمره..

إلى أن كان يوم خميس.. ليلة جمعة.. وذهب مع أصدقائه إلى وش البركة وكان قد تعود أن يختار دكان علوية من بين دكاكين الحي.. إنها صديقة الطلبة.. وفوجيء بمتولى أفندى أستاذة في المدرسة.. أستاذ الحساب.. يخرج من نفس الدكان.. وأرتبك كل منهما أمام الآخر.. ثم تجاهل كل منهما الآخر.. لا سلام ولا كلام.. أن متولى أفندى كان أقسى مدرس في المدرسة.. لا يرحم.. ولا يكف عن الضرب واللطم والتذنيب ولعن الأب، وكان كل ذلك مباحاً ومن حق المدرسين أيامها، فكيف يصل متولى أفندى إلى وش البركة.. هل جاء ليعطي درساً لعلوية ويضربها ويلعن أياها كما يفعل مع التلاميذ.. أم أنه زبون..

وقالت له علوية ضاحكة:

— متولى أفندى زبون قديم.. وزبون خيبة.. ولا أقبل منه أقل من عشرة قروش.. أنت وبقية التلاميذ الذين تدفعون خمسة قروش.. أنا صديقة الطلبة حتى لو ببلاش..

والله زمان.. كانت المرأة في الحي الراقى حي «وش البركة» بعشرة قروش.. والمرأة في الحي الشعبي حي «الواسعة» بخمسة قروش.. وفتح عينك تاكل ملبن.. ردها شفيق في خياله كأنه يعيش أيام زمان والذي حدث بعد ذلك تطور عجيب.. أصبح هناك نوع من تبادل

الاحترام بين متولى أفندى والتلميذ شفيق.. ولم يعد متولى أفندى يضرب شفيقا أو يلعن أباه بل كان يتبادل معه التحية كلما التقيا حتى داخل المدرسة وكأنهما رجلاّن من زبائن حى واحد.. حى وش البركة..



وزم الأستاذ شفيق شفّيته كأنه يلوم نفسه.. لماذا يتذكر أخطائه حتى يبرر أخطاء تلاميذه.. **بالعكس..** إن أخطائه يجب أن تكون رادعا لتلاميذه حتى لا يخطئون مثلاً.. يجب أن يحمى تلاميذه من أخطائه.. لعلها ليست أخطاء..

إنها طبيعة الحياة البشرية..

وربما كان الإنسان لا يجد الصحيح إلا إذا وقع في الخطأ، وهو شخصيا لم يفكر في الزواج إلا بعد أن تقابل مع تلميذه في صالة صفية حلمى..

وشعر الأستاذ شفيق بنوع من الرحمة.. رحمة على نفسه ورحمة على التلاميذ.. ووجد نفسه يتجه إلى التلميذ الذى شكاه من أنه لا يفهم السؤال، وانحنى بجانبه.. هل فهم.. لا لم يفهم بعد.. وقضى دقائق يفهمه رغم أنه ليس من طلبة الدروس الخصوصية.. مجانا لوجه الله..

ورفع عينيه ومدّهما إلى بعيد حيث يجلس التلميذ مدحت عبدالرؤوف المرجوشى..

إنه منذ أول يوم فى الامتحان وهو يتجاهل هذا التلميذ.. كأنه يخشاه..

إنه ابن سيادة الوزير..

عاد الأستاذ شفيق عبدالغفور يتطلع من بعيد إلى التلميذ مدحت عبدالرؤوف المرجوشى ابن السيد الوزير وهو جالس بين الطلبة

المتحنيين في الثانوية العامة.. انه لا يعتمد التباعد عنه ولا يتجنبه ولا يخافه أو على الأصح لا يخاف أباه الوزير.. الوزراء هذه الأيام ليس لهم هذا الهيئان الذى كان لهم قبل الثورة.. بل إن الشعب لا يعرف معظم الوزراء ولا حتى يعرف أسماءهم لأن الوزير ليس وزيراً سياسياً، بل ربما كان كثير من الوزراء قد اختيروا للوزارة لعدم اشتغالهم بالسياسة.. ليست لهم سوابق سياسية فالوزير الآن هو سكرتير.. مجرد سكرتير فحسب.. سكرتير الدولة لشئون التعليم.. سكرتير الدولة لشئون المواصلات.. و.. و.. ولقب سكرتير لا يقلل من قيمة الوزير بل يرفعه إلى مستوى وزراء أمريكا.. والوزراء في أمريكا يحملون لقب سكرتير دولة.. وكل منهم هو على الأصح ليس سكرتير الدولة ولكن سكرتير رئيس الدولة.. أى سكرتير رئيس الجمهورية.. وهو نفس الوضع عندنا في مصر، وكان يجب على الثورة منذ أول أيامها أن تلغى لقب وزير كما ألغت ألقاب الباشوية والبيكوية والأفندية وكما ألغت الطربوش.. ولكن الثورة لا تزال متمسكة بتقاليد الحكم الانجليزى.. وقد ألغت لقب باشا لأنه لقب موروث عن الأتراك ولم تلغ لقب وزير لأنه لقب موروث عن الانجليز.. وابتسم الأستاذ شفيق عبدالغفور بينه وبين نفسه كأنه يهنىء نفسه على قوة منطقته في تحليل ما يحيط به.. والمهم أنه لا يخاف هذا التلميذ ابن السيد الوزير ولا يعتمد تجاهله والابتعاد عنه.. إنما فقط يرفع نفسه فوق مستوى أبناء الوزراء رغم أن رئيس لجنة الامتحان نفسه لا يكف عن الاقتراب منه والطواف حوله كأنه يتبرك به.. وضابط البوليس المعين لحراسة ابن الوزير والذى يقف عند باب لجنة الامتحان يدخل كل بضع دقائق ويطوف هو الآخر حوله وقد يقف ويتهامس معه وقد يعود يحمل له زجاجة بيبسى كولا أو فنجان قهوة.. إن هذا الحارس ليس له من مظاهر الوجاهة كما كانت

الدنيا زمان عندما كان الحرس الرسمي يصحب أبناء الأمراء والباشوات كأنهم أولياء العهد.. ولكن الحالة السياسية دائما خطيرة إلى حد تفرض تعيين حرس حول أبناء الشخصيات المهمة، والثورة تراعى أن يكون هذا الحرس من البوليس السرى أو لعله يسمى اليوم البوليس الخاص حتى لا تجرح عيون وشعور الشعب.. لا.. لا يمكن أن تعود مظاهر الحياة ومظاهر الحكام كما كانت قبل الثورة.. كما كانت أيام صاحب الجلالة الملك..

وتنهد الأستاذ شقيق تنهيدة عميقة حزينة كأنه يدارى بها جرحا قديما في صدره بدأ ينزف من جديد.. لقد كان أيامها في أوائل سنوات تخرجه، وقد عين مدرسا في مدرسة خليل أغا الابتدائية التابعة للخاصة الملكية.. وكان بين تلاميذ المدرسة ابن ناظر الخاصة الملكية.. وكان ناظر الخاصة الملكية أيامها يوازى المندوب السامى البريطانى.. كل منهما يتحكم في البلد كما يريد.. السفير يتحكم باسم بريطانيا وناظر الخاصة يتحكم باسم الملك.. بل كانوا يقولون أن سلطات ناظر الخاصة أوسع من سلطات رئيس الوزراء.. ناظر الخاصة سلطاته «من تحت لتحت» لأنها سلطات تنفيذية، أما سلطات رئيس الديوان فهى سلطات مكشوفة، لأنها سلطات سياسية.. ناظر الخاصة يستطيع بالتليفون أن يستولى على ألف فدان ويضمها لأملاك العائلة المالكة ويطرد منها خمسة آلاف فلاح دون أن يدري أحد، ورئيس الديوان يستطيع بالتليفون أيضا أن يطرد من الحكم وزارة حتى لو كان رئيسها سعد زغلول أو مصطفى النحاس ولا يستطيع طبعاً أن يخفى الخبر..

ناظر الخاصة هو الأخطر..

وكان التلميذ فضل الله ابن ناظر الخاصة يأتى إلى المدرسة كل صباح في سيارة فارغة، ويجلس بجانبه حارس، ويقودها سائق

يجلس بجانبه حارس آخر.. وكان يباح له أن يدخل من الباب الرئيسي المطل على شارع فاروق — واسمه الآن شارع الجيش — بدل أن يدخل من الباب المطل على الحارة الجانبية المخصص لتلاميذ المدرسة.. وينزل حارس ويفتح له الباب والحارس الآخر يصحبه ويظل في انتظاره إلى أن تنتهى مواعيد المدرسة..

وحضرة الناظر حريص في كل يوم على الاطمئنان على فضل الله.. فإما أن يمر عليه في الفصل، أو يدعوه إلى مكتبه.. كيف حالك اليوم يا فضل الله.. أريدك أن تشرفنى أمام الباشا الوالد بنجاحك.. ويتكلم حضرة الناظر وهو فخور بأنه ينادى ابن ناظر الخاصة باسمه «حاف» بلا لقب كأنه ابن أحد أفراد الشعب.. أما المدرسون فكانوا فيما بينهم يتجنبون الحديث عن التلميذ فضل الله، إلا إذا روى أحدهم نادرة تمجد في عبقريته المبكرة التى بدأت تظهر وهو لا يزال في المدرسة الابتدائية.. والطلبة منقسمون من حول زميلهم فضل الله، بعضهم يغار منه ومن العز الذى يعيش فيه، وبعضهم ينافقه، فالنفاق يمكن أن يبدأ من سن الصبا المبكر، وبعضهم يحس به كصديق يحبه فعلا.. ولم يكن فضل الله ثقيلا متمسكا بمظهره وحقوقه كابن ناظر الخاصة الملكية.. بالعكس.. كان يعيش حياة بقية التلاميذ وأغلبهم من أبناء حى سيدنا الحسين وحى الحسينية والعباسية وهى الأحياء التى تجمع بين المستويات الأدنى من الطبقة المتوسطة.. كان يقلدهم في كل تصرفاتهم ويفرض نفسه عليهم في كل ألعابهم ويتسلل معهم من سور المدرسة ليشتري مثلهم سندوتش الطعمية وأطباق البليلة، بل إنه وجد زملاءه يتضاحكون ويتشائمون بلعن الأب.. «يلعن أبو اللى جاب أبوك».. فإذا دخل بينهم لا يتجرأ أحد على لعن أبيه رهبة وخوفا لا احتراما.. وإذا به في إحدى المرات وهو بينهم يشاركونهم ضحكاتهم يصيح بأعلى صوته.. «يلعن أبو اللى

جاب أبويا».. وبهت أصدقاؤه لحظة ثم انطلقوا يرددون وراءه لعن أبيه كأنهم يرددون هتافاً وطنياً.. «يلعن أبو اللي جاب أبوك.. يلعن أبو اللي جاب أبوك»..

وعرفت هذه الحكاية في المدرسة. أن التلاميذ يلعنون حضرة الباشا ناظر الخاصة الملكية.. وتحرك حضرة الناظر بسرعة، ورغم أنه عرف أن فضل الله هو الذي بدأ الهتاف الذي يلعن به أباه.. ورغم أن الموضوع كله لم يتعد إلا بضعة طلبية يتضاحكون.. إلا أن حضرة الناظر خاف من الحارس الذي يصاحب فضل الله فأمر بضرب ثلاثة تلاميذ بالخرزانة، وكان الضرب بالخرزانة أيامها عقاباً عادياً مباحاً خصوصاً في مدرسة خليل أغا التي عرفت عنها القسوة إلى آخر مداها في تربية تلاميذها..

وقاطع التلاميذ فضل الله بعد هذه العلفة التي نالها زملاؤهم الثلاثة واكتفوا بأن يعاملوه على أنه ناظر الخاصة الملكية.. وهو يحاول من جديد أن يكسبهم ويعيش حياتهم.. كان يحاول أن ينزل من طبقته إلى الطبقة الشعبية، وربما كان أبوه مقتنعاً بأن ينشأ ابنه بين هذه الطبقة فقد كان أبناء الطبقة العليا لا يدخلون إلا المدارس الأجنبية.. الجيزويت والليسيه فرنسيه وفيكتوريا كوليدج.. و.. وربما اختار الأب لابنه مدرسة خليل أغا لأنها تبعه ومن أملاكه.. أملاك الخاصة الملكية..

والأستاذ شفيق يذكر أنه كان يعتمد أن يعامل التلميذ فضل الله كتلميذ عادي، ولكنه لم يستطع أن ينسى أبداً أن هذا التلميذ هو ابن ناظر، الخاصة الملكية.. وهو يكره الملك ويكره الخاصة الملكية ويكره ناظر الخاصة الملكية.. أنه في شبابه ويعيش احساسه بالسخط والرفض والثورة على كل ما هو قائم في مصر.. وكان يرى السيارة الفارهة فيكاد يبصق عليها، ويلمح فضل الله فيدقق في الحلة التي

يرتديها والحذاء الذى فى قدميه.. كم تلميذا يستطيع أن تكون له هذه الحلة وهذا الحذاء.. وكم فلاحا دفع حياته ثمنا لهذه الحلة وهذا الحذاء.. ورغم ذلك فقد كان يكتم كل هذه المشاعر، وكل ما يفرج به عن نفسه هو أن يعامل فضل الله على أنه تلميذ عادى..

وفى إحدى الحصص بدأ فضل الله يتهامس مع جاره ويتضحك معه ونهره الأستاذ شفيق:

— اسكت يا ولد..

وكان ينادى كل التلاميذ بلقب «ولد» ولكن اللقب كان له طعم خاص تحت لسانه وهو ينادى به فضل الله.. وبعد دقائق عاد فضل الله يتهامس ويتضحك مع زميله، وعاد الأستاذ شفيق صارخا وهو يضرب على مكتبه بالخرزانة التى كان كل مدرس فى مدرسة خليل أغا يحمل مثلها أثناء الدراسة:

— قلت لك اسكت يا ولد وإلا عرفت كيف أعلمك السكوت..

ولم تمض دقائق أخرى حتى عاد فضل الله يتهامس ويتضحك، كأنه يتحدى الأستاذ شفيق.. ناظر الخاصة الملكية يتحدى الأستاذ شفيق.. والأستاذ شفيق قبل التحدى.. وأمر التلميذ فضل الله.. قف.. تعال هنا.. ووضعه فى ركن حجرة الفصل الدراسى واقفا وذراعا مرفوعتان إلى أعلى ووجهه ملتصق بالحائط ثم رفع الخرزانة الرفيعة وهو واقف خلفه وأنهال بها ضربا على ساقيه العاريتين من تحت بنطلونه القصير.. وفضل الله يصرخ.. معلش والنبي يا أفندى.. حرمت يا أفندى.. والتلاميذ فى الفصل كلهم سكوت.. أن ناظر الخاصة الملكية يضرب بالخرزانة.. لا فرق الآن بينه وبين المعلم عويضة الجزمجى والد التلميذ برهومة..

وتوقف الأستاذ شفيق - أفندى سابقا - عن ضرب فضل الله ولكنه ظل محتفظا به واقفا ووجهه إلى الحائط مرفوع الذراعين.. وعاد يلقي

الدرس على التلاميذ ثم بعد قليل عاد مرة ثانية وأنهار ضرباً بالخرزانة على ساقى فضل الله..

إلى أن انتهت الحصة وخرج الأستاذ شقيق وبدأ يحاسب نفسه.. هل كان قاسياً.. أبداً هذه هى وسيلة تربية التلاميذ فى مدرسة خليل أغا.. ولكن هل من حقه أن يطبق نفس الوسيلة على ابن ناظر الخاصة الملكية.. ماذا يمكن أن يحدث له.. هل يمكن أن يحدث له شىء.. ومرة اليوم دون شىء.. وقدر الأستاذ شقيق أن فضل الله لم يلجأ إلى حضرة الناظر يشكو له..

وفى صباح اليوم التالى ماكاد يدخل المدرسة حتى وجد زملاءه يستقبلونه بنظرات صامتة حزينة كأنهم يعزونه فى وفاة أمه.. ماذا حدث.. وقبل أن يتكلم أحد وجد سكرتير المدرسة يدخل ويدعوه لمقابلة حضرة الناظر بسرعة. ودخل مكتب حضرة الناظر فوجد عنده اثنين يبدو عليهما أنهما من كبار القوم وصاح أحدهما بمجرد أن رآه: — هذا هو شقيق زفت.. أين ولدت يا أفندى.. فى زريبة بهائم.. وبدأ التحقيق معه..

وأوقف عن التدريس..

وكان المنتظر أن يرفق ولكنهم اكتفوا بنقله إلى مدرسة أسنا الابتدائية فى أقصى الصعيد.. لقد كان حضرة ناظر الخاصة الملكية انساناً كريماً رحيماً فاكتفى بنقله إلى أسنا.. وتغنت نقابة المعلمين بإنسانية حضرة ناظر الخاصة الملكية..

وتعذب شقيق أفندى فى مدرسة أسنا ثلاث سنوات وكان كل ما يخفف عنه أن التلميذ فضل الله نفسه ترك مدرسة خليل أغا ووضع أبوه فى مدرسة الجيزويت.. لقد انتصر شقيق أفندى بتطهير مدرسة أبناء الطبقة الشعبية من أبناء الطبقة الحاكمة..



ولم يرفع الأستاذ شفيق عينيه إلى مدحت عبدالرؤوف المرجوشي ابن سيادة الوزير كأنه يهرب من ذكرياته، وعاد يمر بين مقاعد الطلبة المتحنيين في الثانوية العامة بوجهه المتجهم ونظراته الحادة.. وفي آخر لجنة الامتحان.. بعيدا.. كانت صفوف الطالبات الممتحنات.. وقفزت ابتسامة إلى صدر الأستاذ شفيق.. أن هناك مراقبة لا مراقبا.. مدرسة من المدرسات وهو يعلم أن الطالبات يفضلن أن يقوم بمراقبتهن مراقب لا مراقبة. أستاذ لا أستاذة.. رجل لا امرأة.. ربما لأن النساء يفهمن بعضهن البعض أكثر مما يفهمن الرجال.. وربما لأن الطالبة لا تستطيع أن تغري أستاذة مراقبة بنظرة أو ابتسامة أو بهمة مما تستطيع أن تغري به الأستاذ المراقب.. لو كان قد وضع مراقبا على صفوف البنات لكان قد تمتع بمحاولة إغرائه..

ومن بعيد أخذ يطوف بعينه بين البنات يحاول أن يكتشف تفاصيل وجه كل منهن.. أنفها.. شفها.. عيناها.. صدرها.. شعرها.. انه إلى الآن وبعد أن وصل إلى الستين لا يزال يضعف أمام شعر البنت إذا كان جميلا خصوصا إذا كان طويلا وفاتح اللون.. كان شعر البنت له دائما تأثير على درجاتها في اللغة العربية..

ومرت بخيال الأستاذ شفيق ابتسامة ساخرة كأنه يداعب بها نفسه.. إن الناس تنسى أن مدرس البنات رجل قبل أن يكون مدرسا، وهو لا يستطيع أن يتخلى عن رجولته ويرتفع بنفسه وهو واقف أمام تلميذاته ليصبح ملاكا أو على الأقل قديسا.. أبدا.. كل ما يستطيعه هو أن يقاوم شهوة رجولته أثناء إلقاء الدرس.. ومهما قاوم فهو لا يستطيع أن يفلت من إحساسه بأنه واقف أمام بنات.. نساء.. خصوصا إذا كان مدرسا في مدرسة ثانوية أو في الجامعة وقد وصلت البنت إلى سن النضوج.. انه يحفظ شكل كل بنت قبل أن

يحفظ اسمها.. يحفظ استدارة صدرها.. ولغة ساقها.. وقمطة خصرها.. ولون عينيها.. ولقطة شفيتها.. يحفظ ويقاوم.. وربما ضاعت البنت الجميلة ضحية هذه المقاومة.. أن المدرس قد يكره البنت الجميلة ويضطهدها لا لشيء إلا لأنها تكلفه أكثر في مقاومة نفسه.. مقاومة تمتعه بها.. مقاومة جمالها.. في حين أنه يستريح للبنت العادية التي لا تتميز بالجمال لأنها لا تتعبه بمقاومة نفسه ومقاومة اشتهاه لها.. ثم يقال إن البنت القبيحة أسعد حظاً من البنت الجميلة وأكثر ذكاء بحيث تتفوق عليها دائماً في الامتحانات.. أبداً.. لا الحظ ولا الذكاء أنه اختلاف في تأثير انعكاس نسبة الجمال على نفسية الأستاذ..

وقد كان الأستاذ شفيق مدرساً في مدرسة البنات الثانوية.. ومفروض أن مدرس اللغة العربية لا يؤثر غالباً اهتمام البنات ولا يبذلن مجهوداً كبيراً في التقرب إليه ومغازلته كالمجهود الذي يبذلنه مع مدرس اللغة الانجليزية أو مدرس الرياضة أو العلوم.. ربما لأن علوم اللغة العربية ثقيلة الدم، أو ربما لأن فيها نوعاً من القداسة لأنها لغة القرآن فيصبح مدرس اللغة العربية أقرب في نظر البنات إلى رجال الدين أو إلى المقرئين الذين يرتلون القرآن.. ولكن الأستاذ شفيق في شبابه كان شيئاً آخر.. كان طويلاً رشيقاً وكان يهتم بشاربه الصغير الرفيع الذي يعلقه فوق شفتيه على طراز كلارك جيبيل.. وربما لم يكن مميزاً في اختيار حلته ورباط عنقه وقميصه وحذائه كزميله مدرس اللغة الانجليزية، فلم يكن يهتم بهذه الأشياء أو على الأصح كان بخيلاً على نفسه يحسب دائماً حساب القرشن الأبيض الذي ينفع في اليوم الأسود.. يوم المعاش.. حذاء واحد في العام كله وبدلة كل عامين يضيفها إلى البدل الثلاث الأخرى التي مضى على إحداها عشر سنوات ولا تزال لائقة أنيقة.. ثم إنه منذ شبابه جاد

ويتعمد الحرص على أن يبدو جادا أمام تلاميذه أو تلميذاته ولكنه كان لا يخل بين الحين والآخر عن إطلاق ابتسامة من تحت شارب كلارك جيبل.. ابتسامة تطلق التنهيدات من صدور البنات.. انه يعرف ويحس أن كثيرا من البنات معجبات به.. تتعلق عيونهن به طوال ساعة الدرس، بل كن أحيانا يتجمعن في فناء المدرسة تحت نافذة غرفة استراحة المدرسين ويتطلعن إليه وهو جالس بجانب الشباك ثم يتهاوسن ويتضاكن في خفر مفتعل..

انه سعيد بإعجاب الطالبات برجولته.. لا شك أن كلا منهن تتمناه.. إحساس يجعله ينتفخ بالغرور بين باقي المدرسين خصوصا مدرس اللغة الانجليزية.. إلى أن أصبحت منيرة تلميذته.. ومنذ أن التقى بوجهها وقوامها وهو يحس بأن هذا النوع من الجمال هو الذي يمكن أن يضعف أمامه.. وبدأ يقاوم.. يقاوم منيرة.. يقاوم اشتهاه لها.. ومقاومته تدفعه إلى نوع من الغل يفرضه عليها.. أصبح كأنه يضطهدا ويقسو عليها.. قومي جاوبى على هذا السؤال.. بدل أن تضيعى عمرك في المرأة افتح الكتاب.. يا بنت انك لا تصلحين للمدرسة ابحتى لنفسك عن زوج وأرحمى نفسك وأريحينا.. كلام جاف قاس يصبه كل يوم على رأس منيرة.. والبنات يشمتن فيها شماتة تثيرها غيرتهن منها.. فهي أجملهن.. أو هكذا كان يراها الأستاذ شفيق.. وهي.. منيرة.. إنها صامتة دائما تسند رأسها على كفها وهي جالسة أمامه وكل عينيها متعلقتين به في استسلام ورجاء كأنها عاشقة تستجدي الرجل الذي تحلم به.. ولم تكن تغضب من كلماته ولا ترد عليه، ولا تهتم بشماتة البنات فيها.. إنها دائما مستسلمة لعينيها المتعلقتين به..

ثم بدأت تتردد عليه في غرفة المدرسين وهي تدعى أنها تسأله في بعض فقرات الدرس.. وكانت تسأله وهو جالس وهي واقفة أمامه،

وثقترب منه حتى تكاد ساقاها تلتقيان بركبتيه.. ويحس بها.. يحس بها كلها.. يحس بها كامراً.. ويحتار ماذا يفعل بهذا الاحساس.. ويقاوم.. وأحياناً يضعف عن المقاومة ويترك ساقها تلتصقان به أكثر ويطلق لها ابتسامته من تحت شارب كلارك جيبل ويحادثها برفق وحنان خصوصاً إذا كانت غرفة المدرسين خالية.. ولكنه لا يلبث أن يفيق من حيرته معها ويعود ويقاوم..

وقبل نهاية العام الدراسي بشهرين جاءت إليه وقالت أن أباه يريد مقابلته ليتفق معه على درس خصوصي.. أتى في حاجة إلى درس خصوصي يا أفندى.. وأجابها وهو محتفظ بوجهه الجاد.. كل بنات هذه المدرسة في حاجة إلى دروس خصوصية.. إنهن متعبات..

وقد فرح الأستاذ شفيق بهذا الدرس الخصوصي أكثر من أى درس خصوصي اتفق عليه.. وكان دائماً يشترط أن يأتى التلاميذ إليه في البيت، ولكنه مع منيرة قرر أن يذهب إليها في بيتها.. إنه درس خصوصي جداً والأفضل أن يكون بعيداً عن بيته بعيداً عن زوجته.. ومنيرة تسكن في الزمالك وهو يسكن في مصر الجديدة.. لا يهم.. وقد كان يشترط إذا اتفق على أن يكون الدرس الخصوصي في بيت الطالب أن ترسل إليه سيارة لتنقله.. ولكنه لم يشترط شيئاً مع منيرة ولا على والدها الرجل الغنى.. إنه مستسلم لإحساسه بأن هذا درس خصوصي جداً..

وكانت أمها تجلس معهما أثناء الدرس الخصوصي، ثم اطمأنت وبدأت تغيب عنهما.. وبدأت ساقاه تعيشان بين ساقها طوال الدرس.. ويده تضغط على يدها.. ثم حدثت قبلاات سريعة خاطفة.. والدرس مدته ساعة فأصبحت ساعة ونصفاً وساعتين.. وأصبح الأستاذ شفيق مجرد شفيق.. ألا نتقابل في الخارج يا منيرة.. لا أستطيع يا شفيق إلا بعد الامتحان.. بابا لا يسمح لي بالخروج إلا بعد الامتحان..

ونجحت منيرة بتفوق في امتحان اللغة العربية وكان شفيق حريصا على أن تنجح أيضا في بقية العلوم فكان يوصي عليها زملاءه المدرسين حتى بدأوا يشكون في علاقته بها.. ولكنه ينفي كل شيء.. إنها إشاعات وهي مجرد تلميذة من تلميذاته يهتم بها أكثر بحكم تقاليد الدرس الخصوصي..

ثم بدأت تضيق منه بعد أن نجحت.. إنه لا يستطيع إلا أن يحادثها في التليفون وترفض أن تقابله خارج البيت.. لا أستطيع يا شفيق أفندي.. أنت متزوج.. ماذا يقول الناس.. منذ متى تهتم منيرة بكلام الناس بعد أن جعلت سيرتها تتردد في كل المدرسة.. ثم إنها أعادت إليه لقب أفندي.. كأنها تعيد إليه كل ما يخصه.. ولكن مستحيل.. لا يمكن أن يكون كل هذا الحب مجرد رشوة كانت تدفعها له.. إنها تحبه وهي على حق إذا هي تحاول الهرب منه لأنه متزوج.. لماذا لا يتزوجها.. ليعترف أنه يحبها والطريق الوحيد إليها هو طريق الزواج، وهو لن يستطيع أن يسعد زوجته التي معه وهو يحب غيرها.. يحب منيرة..

ومنيرة سافرت مع العائلة لقضاء الصيف في الاسكندرية.. إنه يعرف عنوانها هناك.. شاطئ ميامي.. سيذهب إليها ويخطبها من أبيها.. واشترى بدلة صيفية جديدة تعمد أن تكون على مستوى العريس الجديد.. واشترى أيضا «مايوه» وزيا كاملا للشاطئ.. وحجز غرفة في فندق سان استيفانو.. ودفع كثيرا.. لا يهم.. إنها منيرة.

وارتدى البدلة الجديدة وذهب إلى شاطئ ميامي.. ورآها قبل أن يبحث عنها.. إنها تجرى بالمايوه.. كل قوامها عار.. لقد تحسس هذا القوام أثناء الدروس الخصوصية ولكنه لم يره قبل اليوم عاريا بكل هذا الجمال.. وصادفته وهي تجرى.. أهلا شفيق أفندي.. بابا في الكابين.. تفضل واذهب إليه.. سيفرح بك.. ثم تركته تجرى.. ورآها

تتعلق بشاب يمد ذراعه ويحيط بخصرها ثم يشدها معه إلى البحر..
مستحيل. لا يمكن أنه مجنون ويجب أن ينقذ نفسه من جنونه قبل
أن يضيع.. وأحنى الأستاذ شفيق رأسه كأنه انهار مع يأسه ولم
يذهب إلى والد منيرة ولكنه ذهب وحمل حقييته وعاد إلى القاهرة.. عاد
إلى بيته..



وشد الأستاذ شفق ناظريه بعيدا عن وصف الطالبات الممتحنات
وفي صدره آهة مكتومة تحسرا على قصته مع منيرة.. إنها قصة مضي
عليها الآن أكثر من عشرين سنة وكان الدرس الخصوصي الذي
أعطاه لمنيرة هو الدرس الوحيد في حياته الذي دفع فيه أكثر مما أخذ
منه.. ولكن الله عوضه.. كان أيامها يتقاضى عن الدرس جنيها واحدا
في الساعة.. الآن لا يتقاضى أقل من أربعة جنيها.. وهو يجمع أكثر
من طالب في الدرس الواحد وقد يصلون إلى عشرة طلاب أي أنه
يتقاضى أربعين جنيها في الساعة الواحدة.. ورغم هذا فهو ليس أغلى
المدرسين.. مدرس اللغة العربية دائما في المؤخرة.. إن مدرس
الرياضة البحتة يتقاضى ستة جنيها في الساعة الواحدة.. وإذا كان
يدرس الرياضة باللغة الإنجليزية وصل إلى عشرة جنيها وهو يجمع
الطلبة في درس واحد.. عشرة طلاب وأحيانا عشرون.. أي يتقاضى في
الساعة مائة وأحيانا مائتي جنيه.. كائنه مدرسة خاصة.. كأن الدولة
عندما أمتت التعليم وجعلته مجانيا جعلت كل مدرس يجعل من نفسه
مدرسة خاصة.. إن الأهالي الآن يدفعون في تعليم أولادهم أكثر مما
كانوا يدفعون عندما لم يكن التعليم مجانيا.. الدولة خربت بين
الأهالي وتسببت في رفع سعر المدرس حتى أصبح أعلى من سعر
الطبيب.. حتى هو اضطر إلى أن يتفق مع مدرس رياضة ليعطي ابنه
دروسا خصوصية.. اضطر أن يخرب بيته كما يخرب بيوت الآخرين..
ولكن..

ما هذا..

إن التلميذ مدحت عبدالرؤوف المرجوشي ابن السيد الوزير يغش.. وخطا خطوة نحو التلميذ الغشاش ثم توقف.. لعله استعاد في ذاكرته ما جرى له أيام ابن ناظر الخاصة الملكية وهذا ابن وزير.. لماذا لا يتركه يغش ويريح نفسه.. ثم إن رئيس المشرفين يطوف حوله ويعلم أنه يغش ورغم ذلك لم يوقفه عن الغش.. ثم ما هو الغش.. إنها عملية تدريب على تنمية الذكاء.. أى أنها يمكن أن تعتبر عنصرا من عناصر التربية.. بل إننا أصبحنا نعيش في مجتمع قائم على الغش.. الغش في التصريحات.. والغش في الإجراءات.. غش سياسي واقتصادي وثقافي.. ولماذا لم يكن هناك غش في الامتحانات.. لقد ارتفع الغش حتى وصل إلى مستوى شهادة الدكتوراه.. كل الشخصيات الكبيرة التي حملت لقب «دكتور بعد الثورة حملته بالغش.. دفعت ثمن لقب دكتور كما كانوا يدفعون ثمن لقب باشا وبك.. فلماذا لا يترك ابن الوزير يغش إذا كان الوزير نفسه يغش.. الوزير يحمل شهادة دكتوراه مزيفة فلماذا لا يحمل ابنه شهادة ثانوية عامة مزيفة أيضا..

ولكنه لم يستطع أن يستسلم لهذا المنطق.. وإذا كان لم يخف وهو شاب من ابن الباشا فلماذا يخاف اليوم من ابن الوزير.. ثم ممن يخاف.. انه سيحال إلى المعاش بعد شهرين ولن يخسر شيئا أكثر من الإحالة إلى المعاش.. بعد شهرين سيصل إلى سن الانتحار.. ومن الأكرم له أن ينتحر وهو راض عن نفسه وبعد أن يرضى الله ويكرم نفسه في آخر أيامه بموقف مشرف ينتصر به للحق وللبادئ التعليم النظيف.. لا تخف يا أستاذ شفيق.. إنك لن تخسر شيئا بعد أن كتب عليك المعاش.. كتب عليك الانتحار بأمر الدولة..

وخطا خطوة أخرى نحو ابن الوزير ووقف فوق رأسه..

وبسرعة أخفى التلميذ مدحت عبدالرؤوف المرجوشي الورقة التي

كان يغش منها تحت ورقة الأسئلة والأجوبة.. لم يتخذ الأستاذ شفيق أى إجراء ولكنه ظل واقفا فوق رأس مدحت وهو يبتسم ابتسامة ساخرة.. انه تلميذ عبيط يغش بالطريقة القديمة الساذجة.. ورقة يضعها أمامه وينقل منها.. إن أساليب الغش تطورت مع تطور الحضارة هناك أساليب مودرن.. آخر صحيحة.. بل إن هذا العبيط كان يستطيع أن يستغل نفوذ والده ويطلب من أحد الأساتذة المدرسين أن يعد له ورقة إجابات كاملة تبديل بالورقة التي يقدمها عند انتهاء الامتحان ويستطيع بذلك أن يتأكد من نجاحه في الامتحان.. بل إنه يستطيع بذلك أن يكون الأول على كل زملائه الطلبة.. أول الثانوية العامة.. ولكنه عبيط أو لعل والده لم يجد الأستاذ الذي يضمن لابقه النجاح بأسلوب الغش الحديث..

والتلميذ مدحت توقف عن الكتابة.. ويرفع عينيه إلى الأستاذ شفيق ثم يزقر في سخط وقرق.. ثم يبحث بعينه عن رئيس اللجنة كأنه يستغيث به..

واقترب رئيس اللجنة بسرعة من الأستاذ شفيق وهو يبتسم له وشده من ذراعه يبعده عن التلميذ مدحت وهو يهمس له بكلمات لا معنى ولا قيمة لها.. انه فقط يبعده عن مدحت..

وأستسلم شفيق لرئيس اللجنة وابتعد معه دون أن يبلغه عن حادث الغش.. وبعد دقائق أخرى استطاع شفيق أن يغافل رئيس اللجنة ثم يتسلل ثانية إلى حيث يجلس مدحت..

ولم يلحظ مدحت.. وكانت ورقة الغش مفرودة أمامه.. فمد الأستاذ شفيق يده وسقط بها على الورقة.. ما هذا يا أفندى.. إنك تغش.. ضبطتك متلبسا بالغش..

وقوىء الأستاذ شفيق بالتلميذ مدحت يصرخ بأعلى صوته.. مالك ومالى يا أستاذ.. لماذا تضطهدنى منذ أول الامتحان.. أبعد عنى قبل أن أرميك في داهية..

وجرى رئيس اللجنة إليه ودخل رجال الحرس كالزوبعة وأحاطوا بالأستاذ شفيق وهو يصرخ.. إنه يغش.. ضابطه متلبساً.. وهذه هي الورقة التي كان يغش منها..

ويصرخ مدحت.. أنا لا أغش.. هذه الورقة أخرجها من جيبه الآن ويريد أن يتهمنى بها.. انه مسلط على.. انى أعرف هذا الأستاذ.. انه شيوعى..

وثار الطلبة الممتحنون كلهم وأخذوا يصرخون هم أيضا وبعضهم ألقى بأوراق الأجوبة والأسئلة في الهواء.. وبعضهم انتهب الفرصة وأخرج أوراق «البرشام» وأخذ ينقل منها إلى أوراق الإجابة.. وترك كل المشرفين على الامتحان مراكزهم والتفوا حول الأستاذ شفيق..

وضجيج وكلام كثير..

ثم سحبوا الأستاذ شفيق إلى خارج اللجنة..

وعاد الهدوء.. وعاد ابن السيد الوزير يجلس مكانه ورئيس اللجنة يعتذر له ويطيب خاطره ثم دس في يده الورقة التي كان الأستاذ شفيق قد ضبطها..

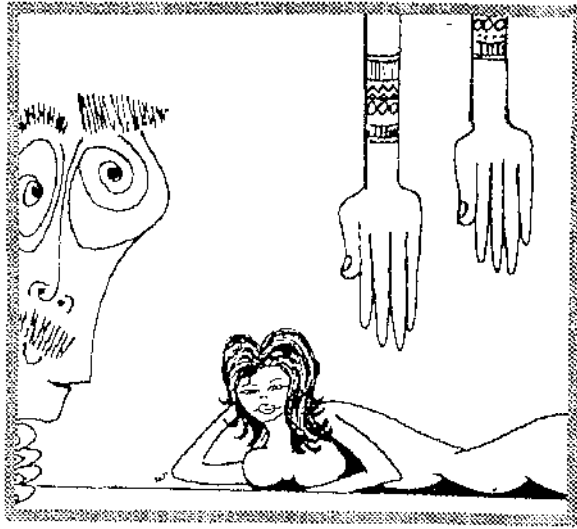
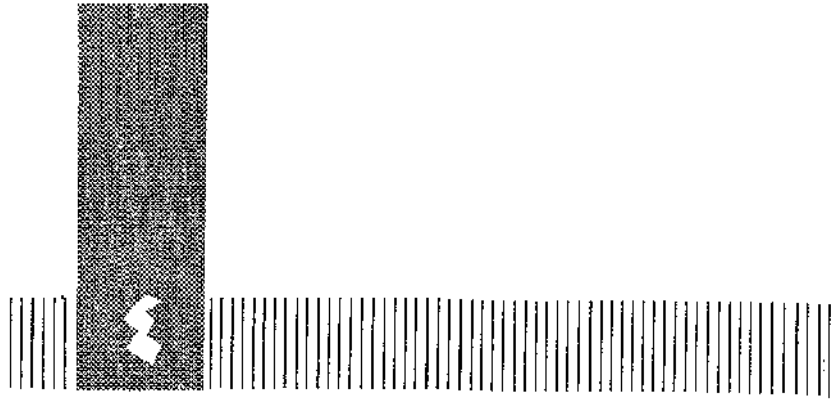
ولم يستدع شفيق للتحقيق ولكن اكتفى بإلغاء انتدابه كمراقب في لجنة الامتحان..

ونشر الخبر في اليوم التالي على أن طلبة الثانوية العامة قد احتجوا معترضين على صعوبة الأسئلة..



الأستاذ شفيق جالس في مقهى عكاشة وهو هادئ سعيد.. لقد وصل إلى سن الانتحار وهو بطل من الأبطال الذين تروى قصصهم على أنها إشاعات..

تمست



آسف..

لما عداستك

● كلمة :

صدقوني .. هذه حكاية أخرى سمعتها وأنا أطوف العالم .. حكاية واقعية حدثت منذ سنوات طويلة .. وأنا أسمع من ناس مسئولين يكشفون أسراراً تصلح للنشر كأخبار .. ولكنى كعادتي أعيش الواقع بخيالي وأصنع من الخبر قصة وربما كانت واقعية هذه القصة وصدقها رغم كل ما أضفته عليها من خيالي هو ما يبرر جرأتي على نشرها رغم كل ما فيها ...

أسس

لم أعد أستطيع

كان عصام رفعت ضابطاً في الحرس الجمهوري .. والحرس الجمهوري لم يعد منذ زمان طويل مجرد مظهر تشريفات كما كان أيام الحرس الملكي .. إنه قوة كاملة من قوات الجيش وقد اشترك فعلاً في أكثر من عملية من العمليات العسكرية .. ولكن عصام رفعت كان دائماً يختار ضمن قوة التشريفات التي يستكمل بها المظهر الرسمي وتصاحب رؤساء الدول الذين يزورون مصر ربما لأن مظهر عصام نفسه كان مظهراً مشرفاً كضابط من ضباط الحرس .. إنه طويل القامة منسق العضلات والخطوط كأنه صورة مصغرة من قوام رمسيس الثاني الذي يقف في محطة مصر ، وكان له وجه فاتح السمرة وسيما دون أن تفقده وسامته جديته ، فهو جاد دائماً تطل نظراته الهادئة من فوق شاربه الرفيع في هدوء يدعو إلى احترامه .. احترام الاعجاب به ..

وكان عصام يعلم كل هذا عن نفسه ويعتز به ولكنه لا يحاول استغلاله .. استغلال وسامته .. وليس في حياته مغامرات نسائية ، ولم يحس يوماً أنه في حالة حب ربما لأنه كان مكتفياً بحب نفسه ومكتفياً بالاعجاب بقوامه وسامته .. وقد كان يتهم أحياناً بالغرور ، وهو لم يكن أبدا مغروراً ، إنما انعزاله داخل نفسه وقدراته على الاكتفاء

بتنفسه جعلته أقرب إلى الإنسان الخجول لا يستطيع أن يطلب لنفسه وأن كان يتمنى أن يطلب منه، ولا يستطيع لخدله وانعزاله أن يخطو الخطوة الأولى وأن كان يتمنى أن يتحمل مسئولية باقى الخطوات.. وهو من عائلة متواضعة لا يملك شيئاً فوق مرتبه الذى ينفق معظمه على تكاليف الاحتفاظ بمظهره ويعيش بالباقى بين أخوته فى بيت أبيه.. وقد اتاح له مركزه كضابط فى الحرس أن يقف متفرجاً على أرقى الطبقات وأعلى مظاهر الفن التى يمكن أن تعيش فى مصر أو تمر بمصر.. إنه يقف متفرجاً على مجتمع الملوك والرؤساء الذين يدعون إلى زيارة مصر والحاشية العريضة التى تصحب كلا منهم وتضم نساء ورجالاً، ويعيش معهم فى قصور الضيافة.. ويتفرج أيضاً على الشخصيات المصرية التى كان مقدراً أن يعيش وهو يسمع عنها من بعيد لولا مركزه كضابط فى الحرس.. يتفرج عليهم فى الحفلات الرسمية التى تقام تكريماً للضيف أو فى المناسبات الرسمية التى يكلف خلالها بالحراسة.. ولم يكن يكشف عن نفسه أبداً وهو يتفرج.. أن نظراته دائماً هادئة متحفظة حادة لا يتركها أبداً تلتقى بأى عينين غريبتين خصوصاً عيون النساء.. انه حريص على مظهره العسكرى الرسمى وحريص على احترام مسئوليته كضابط من ضباط الحرس.. ولكنه كان يستطيع أن يتفرج فى لحات سريعة، وعود نفسه على أن يستوعب فى كل لحظة ما كان يتطلب أن يستوعبه فى نظرة طويلة كاملة.. انه فى لحظة يستطيع أن يستوعب كل ملامح هذه المرأة وكل خطوط جسدها ويحكم على نسبة جمالها.. وفى لحظة واحدة يستطيع أن يستوعب كل قطع المصاغ التى تتحلل بها.. وكان أحياناً يحس كأنه يكتم فى داخل صدره تنهيدة عندما يفاجأ بكمية من قطع المصاغ لم يكن يتصورها معلقة فوق امرأة واحدة.. شئ يثير آماله ويثير حسرته ويكاد يخرجها عن تحفظه ليسعى وراء هذا المصاغ فوق جسد هذه المرأة..

وأحياناً كان يلتقى فى لحاته بابتسامة موجهة إليه من بعيد..
ابتسامة امرأة.. ابتسامة اعجاب ونداء .. وكان يتجاهلها بسرعة ..
ابتسامة لا تكفى لتخرجه من عسكريته واحترامه لمسئوليته وتدفعه
ليجازف بتقدير رؤسائه له .. كل ما كان يحرص عليه ويرضى به
غروره هو أن يعرف من تكون صاحبة تلك الابتسامة .. إنها زوجة
سفير رئيس الدولة المدعوة أو فلان الفلانى الشخصية المعروفة .. أو
كلهم من نساء هذه الطبقة التى تقام لها الحفلات الرسمية والتى
تكفى ابتسامة من أى منهم لترضى غرور أى رجل ..

وقد حدث أن أخذ أكثر من ابتسامة .. اتصلت به احداهن بعد
يومين من حفل كان يقوم فيه بمسئوليته كضابط من ضباط
الحرس.. اتصلت به من خلال تليفون البيت .. وكان يمكن كما هى
العادة أن تمر أيام طويلة وهى تحرضه على نفسها بأحاديث
التليفون، ولكنها وجدته صنفاً آخر من الرجال .. إنه يضيق
بمحادثات التليفون وبعد محادثتين اعتذر لها وأنهى المحادثة ، ولكنها
عاجلته بمحادثة ثالثة وصارحته بمن هى وحرصته على طلب لقاءها ..
إنها زوجة شخصية عربية لها قيمتها .. وفكر بسرعة .. لقد مر بها فى
لمحة من لحاته وكانت تبسم له .. إنها جميلة ولكنها ليست فى أعلى
مستويات الجمال .. وقطع المصاغ التى كانت تحملها لا تعتبر شيئاً
بالنسبة للقطع المعلقة على كثير من الأجساد .. ليس فيها ما يكفى
ليعرض نفسه وسمعته لغامرة قد تنتهى بفضيحة .. ان ما تريد أن
تأخذه منه أكثر مما يمكن أن يعطيه له .. إنه مغرور .. لا .. إنه عاقل ..
عقله كمبيوتر حساس ..

وتجاهل تحريضها وهرب من تليفونها وان كان قد وجدها أمامه
عندما زار صديقه محمود بعد بضعة أيام بناء على دعوة شخصية ..
إن زوجة صديقه هى التى أعدت هذا اللقاء .. إنها هى أيضاً تشترك فى

إغرائه بها .. لا .. لن يضيع نفسه في متع ككأس الدندورمة تنتهى بمجرد أن تلعقها .. واستطاع أن يهرب وتركهم يقولون عنه انه مغرور ودمه ثقيل ولا يستحق النعمة ..
هكذا كان ..

إلى أن جاء نائب رئيس جمهورية في زيارة رسمية لمصر وكانت معه ابنته ..

وكان عصام هو قائد الحرس المرافق ..
وفي إحدى لحاته وجد عينيها معلقتين به .. ثم اكتشف ان عينيها تبحثان عنه .. تبحثان عنه دائما ، حتى انها كانت واقفة بجانب والدها تستقبل المدعوين وتصافحهم واحدا بعد واحد وبعد كل واحد تدير رأسها وتطلق عينيها بعيدا تبحث عنه ..
وبدأ يخرج عن القاعدة التي فرضها على نفسه وهي ألا يترك عينية تلتقيان بعيني الطرف الآخر .. وضع عينية تحت أمر عينيها في دنيا تبادل النظرات .. وعندما التقى مع نظرتها بابتسامة تردد قليلا قبل أن يبادلها الابتسامة .. ولكنه لا يستطيع أن يقاوم طويلا فيجد نفسه يتعلق بنظرة سريعة وابتسامة خفيفة كأنه يتبادل معها منشورات سرية .. ويستوعبها أكثر ..

إنها ليست صغيرة .. ربما تعدت الخامسة والثلاثين ولكنها حتى يطبق بروتوكول المجاملات الرسمية اقنع نفسه انها لا تزال في أول الثلاثين .. وهي ليست جميلة ان قوامها قصير هذا القصر الذي عرف عن هذه الشعوب .. ولكن هذا القصر لم يؤثر في خطوط جسدها .. نهديها .. خصرها .. لفة ساقها وانسياب ذراعيها .. ووجهها يحمل هاتين العينين الضيقتين كأنهما من قلم رفيع ، وأنفها صغير كحبة النبقة وشفتيها ضائعتان في لونها الذي يميل إلى الصفار المختلط بالسماز .. و .. ولكن لماذا يبحث وراء كل هذه التفاصيل .. ان

بروتوكول المجالات الرسمية يجد لها دائما صفة الكمال .. إن شخصيتها تتوفر لها الكمال .. شخصية حلوة مثيرة فليكتف بإقناع نفسه أنها شخصية حلوة مثيرة وأحلى ما في هذه الشخصية أنها شخصية ابنة نائب رئيس جمهورية ..

وقد مر يومان على بدء الزيارة .. وكان في انتظارهما هي وأبيها في بهو قصر الضيافة وهما في طريقهما إلى السيارة الرسمية الكبيرة التي تتقدمها فرقة من الموتوسيكلات .. ونزلا من جناحهما إلى البهو ورفع يده بالتحية العسكرية ومر به الأب وهو يرد تحيته بهزة عابرة من أصابعه ، أما هي فقد وقفت أمامه ومدت يدها تصافحه وشفتها الضائعتان تبسيمان ابتسامة واسعة ، وقالت بإنجليزية تتكسر فوق رنين لهجتها الأصلية :

- صباح الخير .. إننا لم نعرف اسمك حتى الآن
إنه يعرف اسمها دون أن يسألها عنه .. اسمها «ميتا» ..
وقال ويدها لا تزال في يده وابتسامة خفيفة ترتسم من تحت شاربه الرفيع :

- عصام .. عصام رفعت يا صاحبة الفخامة ..
ورددت اسمه بلهجتها المتكسرة وهي تضحك ضحكة عالية قائلة :
- سأراك .. دعنا تراك ..

وأحس عصام بالحرج أمام ضحكتها العالية .. لا بد أن كل من حوله بدأوا يتغامزون ويتهايمسون .. إن هذه المرأة لا تحترم البروتوكول .. واعتدل في وقفته العسكرية ثم تقدمها ليلحق بوالدها دون أن يرد عليها ..

وفي المساء عاد بهما إلى قصر الضيافة .. وأسرع والدهما الخطى داخل البهو ووجد نفسه معها وحده .. غريب هذا الأب .. إنه لا يحس بوجود ابنته معه أبدا .. بل أنه لاحظ أنهما لا يتبادلان الكلام .. لماذا

اتى بها معه .. ربما لم يأت بها إنما وجدها معه .. كأن زوجته
وضعتها في حقيبتها دون أن يدري ..

وقالت له «ميتا» في صوت رزين كأنها تلقى أمرا رسميا :
- أنتظر انى أريدك ..

ووقف صامتا .. وصافحت ميتا السيدة المرافقة كأنها تأمرها
بالانصراف ، ثم تقدمت إلى الصالون الداخلى من البهو وعصام يتركها
تسبقه بخطوة .. ثم انزوت في ركن وتركته حتى اقترب منها فاقتربت
هى أكثر حتى التصقت به ، وقالت وعيناها الضيقتان قد اتسعتا
لتنطلق منهما لمعة كأنها شرارة رغبة :

- ألا نستطيع أن نبقى وحدنا ..
وقال وهو يتعد عن التصاقها به :
- نحن وحدنا ..

قالت كأنها تريده أن يفهم :

- هذا ما أريده .. أن نكون وحدنا والليل طويل .. وأنا ضقت من
هذه الاستقبالات والرسميات .. وأريد أن أرتاح معك ..

وفكر بسرعة .. إنه يفهم ما تريد .. وهو في هذه المرة لا يمانع .. إنها
ابنة نائب رئيس جمهورية .. إنه شرف كبير له .. ولكنه إذا جلس معها
فيجب أن يقدم تقريرا غدا عن كل ما جرى بينهما .. وإذا لم يقدم
التقرير فإن المخاطر ستكون قد عرفت كل شيء بلا تقرير منه ..
ولا أحد يدري ما يحدث له بعد ذلك .. على الأقل سيفقد هذا الاحترام
الذى اكتسبه طوال هذه السنوات كضابط في الحرس الجمهورى
حريص على احترام نفسه واحترام عسكريته واحترام مسؤولياته ..
وقال في لهجة جادة وقد اكتسب وجهه كل ما تعودته من جدية :
- أسف .. لا أستطيع ..

وقالت في غيظ وهى تخبط على الأرض بقدمها :

— لماذا ؟

وقال في هدوء :

— إننى معك بصفة رسمية ..

وقالت بسرعة :

— إذن لتكون لى بصفة رسمية ..

وقال فى دهشة :

— كيف ..

قالت :

— نتزوج ..

وفتح عينيه كأنه صعب .. هل هذا ممكن .. أن يتزوج ابنة نائب
رئيس جمهورية دولة لها كيائها ولها اسمها .. ويتزوجها هكذا فى لقاء
لم يدم أكثر من يومين .. وقال وهو ساهم كأنه يحدث نفسه :

— هل هذا ممكن ؟

وسمعتها تقول :

— طبعاً .. إنى حرة .. هات الأوراق الآن لتوقعها ودعنا نتم ..

وقال بسرعة

— لا .. إن زيارتك تنتهى بعد يومين وأنا لا أستطيع أن أسافر

معك ..

قالت وهى تعود وتلتصق به :

— سأبقى معك هنا كما تريدنى أن أبقى .. لنتزوج الليلة ..

وقال وهو يتركها تلتصق به أكثر :

— مستحيل .. يجب أن أستاذن أولاً .. إجراءات كثيرة ..

قالت وهى تشب على قدميها وتلتصق شفتيها بشفتيه :

لا تتركنى ..

قال وهو يتلفت حواليه حتى يطمئن إلى أنهما وحدهما .. ثم يرفع

جسدها الصغير القصير من على الأرض بذراعيه ويترك شفثيه
لشفثيها كأنه يتركها تذوق قبل أن تشتري :
- لن أتركك .. انتظري الغد ..
وتركها وخرج من قصر الضيافة وكأنه يجرى إلى حياة جديدة ..



وفي صباح اليوم التالي أبلغ رؤساءه بكل ما حدث ..
لقد عرضت عليه الزواج ..
وهو يريد أن يتزوجها ..
وامتلأت مكاتب المسؤولين بالدهشة وجرت تحليلات كثيرة
تدخلها ضحكات كان ما حدث هو نكتة .. والتفوا حول عصام
بعضهم يحسده في غيظ وبعضهم يحسده في فخر معتزا بأن شابا
مصريا استطاع في لحظات أن يأسر ابنة نائب رئيس جمهورية لدولة
لها قيمتها ..
وصدرت موافقة رسمية على الزواج استثناء من القانون الذي
يحرم على رجال الجيش أن يتزوجوا من أجنبيات ، وإن كانوا قد
اشترطوا ألا يتم الزواج إلا بعد انتهاء الزيارة حتى لا يختل البروجرام
الرسمى ..
وأعفى عصام من مهمة حراسة نائب رئيس الجمهورية ليتفرغ
لعلاقته الجديدة به كخطيب لابنته .. وذهب إليها في صباح اليوم التالي
وقرحت ميثا ..
وهي تريد أن تفترض أن الزواج قد تم فعلا وليعاشرها اليوم ..
الآن .. وهو فخور بمدى هذا الحب الذي تصبه عليه ويحاول أن
يهدئها بقبلاته .. لم يبق إلا يوم واحد وتنتهى الزيارة ويبدأ الحياة
الجديدة ، ثم انه لم يطلبها بعد من أبيها .. يجب أن يحصل على
موافقته رسميا ..

وقالت ميتا في دهشة :

— لماذا .. يكفى انى وافقت .. لماذا تحشر الرسميات فى شىء يتم بينى وبينك .. شىء خاص وعصام يصر .. وفوجيء وهو يعرض الموضوع على أبيها .. إنه يبدو وكأنه لم يفاجأ بشىء جديد .. وكأن الموضوع كله لا يهمه .. وقال فى برود :
— وماذا تريد منى ..

وقال عصام وهو يبتسم فى أدب واحترام كبير :
— أريد موافقة فخامتك ..

وقال الأب فى برود :

— وماذا تفعل بموافقتى .. ألم توافق هى ..

وقال عصام فى دهشة :

— فخامتك هو الأب وأنت صاحب الكلمة والحق ..

وقال الأب فى قرف وكأنه يبصق كلماته :

— هذا موضوع لا أستطيع أن أوافق عليه ولا أن أرفضه .. إنه موضوع لا يخصنى ..

والجمت الدهشة لسان عصام ولم ينطق بكلمة ولم يقدم تقريراً عن لقائه بالأب ..

وفى اليوم التالى انتهت الزيارة الرسمية ، وسافر الأب وبقيت بعده ميتا وانتقلت من قصر الضيافة إلى فندق هيلتون ، ولم يستطع عصام ليلتها أن يصدها رغم ان الزواج لم يكن قد تم .. إنه أيضا يريد لها .. ولكنه ليلتها عاش متعته بها فى دهشة المفاجأة .. إنه يفاجأ بشىء غريب .. كل هذا لا يمكن أن يكون طبيعياً .. إنها تريده أكثر بكثير مما تريد أى امرأة رجلاً ..

وابتسم ..

إنه سخاء الحب ..

لا يمكن انبها كانت تريد من زوجها الأول الذى طلقته منذ شهور كل هذا الذى تريده منه ..

وفى اليوم التالى تم الزواج وأصر عصام على أن يكون زواجا شرعيا إسلاميا .. يجب أن يفرض شخصيته وميتا توافق بلا نقاش أو على الأصح بلا اهتمام .. وكل شىء يتم فى هدوء وبلا حفل .. بل لم يحضر الزواج أحد من موظفى السفارة التى تتبعها ابنة نائب رئيس الجمهورية .. فقط عائلة عصام واثنان من أصدقائه ..

ولم يعلن عن هذا الزواج فى الصحف .. فقد كان أسلوب الحكم فى مصر أيامها يحرم إعلان أو إبراز التصرفات الخاصة حتى ولو كانت زواج مصرى بابنة نائب رئيس دولة أجنبية ، خصوصا ان هذا الزواج لا تهتم به الدولة وليس هناك علاقة مهمة تربط الدولتين ..

وبعد أيام استأجر العروسان شقة مفروشة فى عمارة لليون .. «ميتا» هى التى تدفع قيمة الايجار .. وتدفع دائما .. إن المال يصلها من بلدها على قدر ما تطلب .. عملة أجنبية .. وينبهر عصام وهو يرى بين يديها آلاف الدولارات .. ولكن ..

الأيام والشهور تمر وعصام يزداد ضيقا ويحس كأن فى داخله بركانا يزمجر ويكاد ينطلق .. إنه يحس كأنه أصبح سجيناً .. سجين غرفة النوم .. محكوما عليه فوق الفراش الذى يجمعه بميتا .. وميتا لا تجد نفسها إلا فوق هذا الفراش .. لا تريد أى شىء بعيدا عنه .. إنها لا تحاول أن تفتح لنفسها وله أبواب المجتمع .. لا المجتمع المصرى ولا المجتمع الأجنبى .. لا تحب أن تكون بين الناس .. وقد حاول هو كثيرا أن يخرجها من غرفة النوم .. كان يعتمد دعوة أصدقائه وزوجاتهم إلى البيت .. ويعتمد أن يدعى خارج البيت .. خارج غرفة النوم .. وتستسلم ميتا لهذه الدعوات ولكنها تجلس بين الناس صامتة كأنها

قطعة من الديكور أو كأنها عروس مصنوعة لتجميل المقعد الذى تجلس عليه .. والناس تتفرج عليها .. هذا اللون الغريب من الجمال .. ويحاول كثير من الرجال والنساء أن يشدوها إلى الكلام .. إلى حكاية ولكنها تهرب من الكلام ومن الحكايات .. حتى يشبع الناس من الفرجة عليها ويضيقون بمحاولة شدها إليهم فينصرفون عنها ويضطر عصام أن يعود بها إلى غرفة النوم .. وقد سلب عليها عائلته أصبح إخوته يكادون يعيشون معه وأمه تقضى أياما وليالي داخل البيت .. وميتا مستسلمة .. لا تعترض .. وتجلس بينهم صامتة ثم تسبقه إلى غرفة النوم .. وهناك .. بمجرد أن تقترب من الفراش تصبح إنسانة أخرى .. تدب فيها الحياة .. تبرق عيناها وتفتح شفتاها وتتكلم وتحكى وتضحك .. وتأخذه إليها .. وأكثر ..

إنها بخيلة .. ربما لم تكن بخيلة ولكنها تنصرف في أموالها كأنها سائحة تقضى أياما في هذا البلد .. وكان هذا البيت هو الفندق الذى تقيم فيه وتدفع تكاليف إقامتها .. وهذا الرجل هو الترجمان أو المرافق الذى يخدمها ويقدم كل ما تطلبه .. هذا البلد ليس بلدها .. وهذا البيت ليس بيتها .. وهذا الرجل ليس زوجها .. وقد حاول أن يربطها أكثر ، فاقترح عليها أن تشتري «فيلا» ليقم فيها .. إنه يعلم أنها تستطيع أن تدفع ثمن هذه الفيلا وقد ذهبت معه فعلا ورأتها ولكن لم تشتريها ، رغم أنه أكد لها أن العقد سيكتب باسمها لا باسمه .. أنها تفضل أن تعيش في شقة .. إذن لنشتري شقة بدلا من إيجار هذه الشقة المفروشة الغالية .. إنها ستبقى لنا العمر كله .. ولكنها لم تشتري شقة .. بل أنه حاول أن يقنعها بأن تضع أموالها في أحد البنوك المصرية ولكنها تفضل وتصر على أن تحفظ أموالها في شيكات سياحية .. صحيح أنها استوردت سيارة مرسيدس من الخارج وكتبتها باسمه ولكن لعلها لم تقصد أن تكون هدية له بقدر ما كانت تقصد أن تغطي حاجتها

الشخصية إلى سيارة .. إنها سيارتها حتى لو كانت باسمه ..
وهو يراجع نفسه شهرا بعد شهر .. ماذا كان يريد بهذا الزواج أو
بهذه المغامرة .. كان يريد أن يرتفع إلى مستوى زوج ابنة نائب رئيس
جمهورية .. ولكنه وجد نفسه بلا مستوى .. المجتمع لا يحس بميتا
كابنة نائب رئيس جمهورية ولا يعامله على أنه زوج ابنة نائب رئيس
جمهورية .. لقد كان يتطلع إلى أن تفتح أمامه أبواب المجتمعات
الرسمية والمجتمعات الراقية .. أن تفتح أمامه آفاق فرص كثيرة ليبنى
لنفسه شخصية جديدة ربما استطاع أن يجعل منها شخصية عالمية
ولكن لم يفتح أمامه باب واحد من أبواب هذه المجتمعات حتى باب
السفارة التي تمثل بلد زوجته .. كأنه كان من المعروف أن «ميتا»
تعتذر عن كل الدعوات الرسمية أو ربما لأن السفارة لا تعترف بأن
لها قيمة تدعى بها .. بل إنه طوال هذه الشهور لم يجدها قد تسلمت
خطابا واحدا من أبيها أو من أخيها ولم تكتب هي خطابا لأحد ، كل ما
كانت تكتبه برقيات إلى أحد وكلاء أبيها ليرسل لها ما تحتاجه من
مال ..

حتى في مصر .. إن المجتمع الرسمي الحكومي لم يضع أى أهمية
لهذا الزواج .. مسألة شخصية لا تهتم الدولة .. وقد كان يتخيل أنه
بهذا الزواج سيدعى في المناسبات الرسمية .. إنه زوج ابنة نائب
رئيس جمهورية .. ولكن أبدا .. لا أحد يحس به بل إنه يحس أنه فقد
قيمه وشخصيته المهيبة الجادة التي كان يعرف بها .. لقد أبعد عن
المراكز التي كان يتحمل فيها مسئوليات مباشرة ، ووضع فوق مقعد
أمام أحد المكاتب .. مجرد منظر .. ورؤساؤه وزملاؤه أصبحوا
يقابلونه بابتسامة لا يستطيع أن يفسر معناها .. هل هي ابتسامة
يغطون بها حسدهم على زواجه .. هل هي ابتسامة تريقة وسخرية ..
إنها لا شك ليست ابتسامة تقدير .. وقد أقام لهؤلاء الرؤساء والزلاء

أكثر من دعوة فخمة .. وكانوا كلهم يلبون الدعوة .. يأكلون كثيرا ويشربون كثيرا ويضحكون كثيرا .. ولكنهم لا يرتفعون به كثيرا كأنهم يقضون ليلتهم في مطعم لا فضل له فيه ..
والأهم من كل ذلك ..

إنه يستنزف ..

إن ميتا تمتصه ولا تشبع أبدا مهما أمتصت منه .. إنها مريضة ..
لا شك أنها مريضة ..

ربما لم تتزوج إلا أنها قدرت أن فيه ما يشبع مرضها .. لقد تزوجته في يومين .. لم يكن يجمعها شيء إلا شكله .. هذا القوام الطويل وهذه العضلات المرسومة القوية وهذه الخطوط الجادة .. شكل يغرى أمثال هاتيك المريضات ..

وقد حاول كثيرا أن يخفف من مرضها .. أن يلهيها عن نفسها .. ولهذا كان يحاول أن يأخذها إلى المجتمعات .. وحاول أن يعودها الأحاديث الطويلة بدلا من الاسترخاء .. أبدا .. إنها تجرى إلى الفراش كالمریضة التي تجرى إلى غرفة العمليات وتستلقي ليجرى لها الطبيب عملية قبل أن تموت ..

وأحيانا كان يهرب منها .. كان يدعى أنه مسافر إلى الاسكندرية في عمل وقد يغيب يومين أو أكثر أو يغيب أسبوعا .. ولكن لا يكاد ينقضى يوم واحد حتى يأكله الشك .. إن هذه المريضة في حاجة لمن يحقنها .. وقد تضعف عندما تغيب عنها الحقنة فتبحث عن طبيب آخر غيره ليحقنها .. ويجرى عائدا إليها حتى لا تفضحه أمام طبيب آخر ..
وهو يضعف ..

أصبح هو الآخر مريضا ..

وبدأ يبحث عن الأدوية التي تحفظ له قوة شبابه .. كأنه أصبح واحدا من العواجيز الذين يحلمون ويحاولون استرداد الشباب ..

وضعه يستمر ويقلقه ..

وقد فكر أن يسافر معها إلى بلدها .. لعل هناك ما يشغلها عن نفسها وعن مرضها .. ولعله يستطيع أن يسترد هناك كل قوته .. لقد سمع عن لمسات كالسحر تحتفظ بالشباب العمر كله .. وهى تدهش في سذاجة بريئة .. لماذا يريد أن يسافر .. ما الفرق بين الفراش هنا والفراش هناك ..

وعدل عن فكرة السفر ..

وكان قد مضى على الزواج عام وبضعة شهور وأصبح مقتنعا أنه لا يستطيع أن يستمر .. لا يمكن .. مستحيل .. يجب أن يتخلص منها .. يجب أن ينقذ نفسه ويتفرغ لاسترداد مكانته وقيمه وشبابه .. واستمعت له ميتا في صمت ..

كأنها مومس تعرف أن ليس من حقها مناقشة الزبون ..

ربما لم يكن عصام رفعت هو أول رجل يقرر هجر «ميتا» فقد تلقت خبر اعتزاه الطلاق بهدوء غريب حتى عيناها لم تتسعا كما هى عاداتها عندما تفاجأ بخبر جديد عندما تشتت رجلا جديدا .. بقيت تنظر إليه كأنها تنظر إلى اثناء اكتشافاته أنه أصبح فارغا بعد أن شربته كله .. وتركته يتكلم دون أن تعلق بشيء ، ثم رآته يجمع ملابسه وحاجياته دون أن تراجع في شيء .. ربما أخذ أكثر مما له .. لا يهم .. وكانت قد استوردت من بلدها كأسين .. كأس له وكأس لها .. عودته أن يتبادلا بهما الشراب وهما في الفراش لقد أخذ الكأسين .. لا يهم .. ولم تراجع في السيارة المرسيديس .. إنها له .. فقط عندما اكتشفت ضياع دبوس ذهبي محلى باللؤلؤ والماس .. وكان يمكن ألا يهمها هذا الدبوس أيضا لولا أنه من بقايا تكريات أمها وهى لم تتعلق بأحد منذ ولدت إلا بأمها رحمها الله .. لا أبوها ولا أخوها .. لم يكن لها إلا أمها .. وكان عصام يتردد على البيت كثيرا بعد أن أعلنها بالطلاق ..

وكانت تلاحقه بعينيها من بعيد ، وبتسع عيناها أحيانا وقد أخذها الحنين إليه وتقترب منه وتلتصق به .. لا يهم طلقها أو لم يطلقها .. لعل في الكأس جرعة أخرى تستطيع أن ترتوى بها .. ولكنه لا يريد .. انه يزيحها في قرف .. إلى أن انتهى من أخذ كل ما يريد وسلمها ورقة الطلاق وحرم على نفسه دخول عمارة لييون المطلة على النيل .. لقد كلفته هذه العمارة كثيرا .. كل قواه .. حتى أصبح يتخيل كأن كل من يدخلها أو يسكنها يدفع نفس الثمن .. وميتا تعود وتبحث عن دبوس أمها وتراجع كل هذه الأيام التي كان عصام يتردد خلالها على البيت بعد أن أعلنها بالطلاق .. لا يمكن أن يكون قد أخذ الدبوس إنه لم يقترب من الدرج الذي كانت تحتفظ به فيه .. لا يمكن .. ليس هذا هو عصام .. إن كل ما أخذ أشياء تتعلق به رغم انها ليست ملكه .. ورغم ذلك لتتأكد ..

واتصلت بالتليفون ببيته ومكتبه ..

إنه ليس هنا .. سافر .. ولا أحد يعلم أين سافر ولا متى يعود .. ربما هرب .. ولكن ممن يهرب .. انها في مصر امرأة عادية أو هكذا وضعت نفسها ، فلا يمكن أن تستحق الهرب منها .. ولا يمكن أن يهرب من بلده من أجل دبوس حتى لو كان محل اللؤلؤ والماس .. لعله سافر ليسترد نفسه ..

ولأول مرة يرى الخدم «ميتا» وهي تبكي .. لم يكن أحد يصدق أنها يمكن أن تبكي كأن هاتين العينين الضيقتين لا تتسعان للدموع .. وهي نفسها تعلم أنها لم تبك منذ زمان طويل .. منذ ماتت أمها .. وهي اليوم تبكي أمها .. إن هذا الدبوس هو أمها .. رغم أن كل من حولها اعتقدوا أنها تبكي عصام .. وقد استمرت بها نوبة البكاء أياما إلى أن جاء لزيارتها سكرتير يعمل في سفارتها ليستكمل لها الاعداد لسفرها عائدة إلى بلدها .. ورأى السكرتير دموعها ثم سمع حكاية

الديبوس .. لعل أحدا من الخدم سرقه يجب ابلاغ البوليس ..
وقبل أن تقول «ميتا» رأيها كان سكرتير السفارة قد أبلغ البوليس
وجاء إلى البيت ضابط البوليس رشاد خلف الله .. وما كادت «ميتا»
ترفع إليه وجهها حتى اتسعت عيناها ..

إن رشاد ليس في شباب عصام وليس له اتساق قوامه الطويل
ووسامة وجهه الجاد .. إنه في الأربعين من عمره .. لعله في الثانية أو
الثالثة والأربعين .. ولعل ما فتح عيني «ميتا» إليه هو فحولته ..
فحولة فلاح كفحولة الثور القوي الذي يثق في فحولته ويتباهى بها ..
فحولة يعبر عنها قوام عريض مدكوك العضلات ووجه أسمر تغلب
عليه امارات القسوة وعيتان نهمتان يبدو نهمهما طبيعيا حتى يضطر
من أمامه أن يقبل نهمه ..

وفهم رشاد في نظرة واحدة كل ما عبرت عنه عينا «ميتا» .. وأهم
ما يعتمد عليه رجل البوليس الناجح هي نظراته .. إنه لا يرى بهما
فحسب ولكنه يستشف بهما ما وراء النظرة .. تلسكوب يكتشف ما في
داخل الإنسان .. وقد اكتشف رشاد ما في داخل «ميتا» .. وتركها
تقترب منه أكثر وهو يستوعب قوامها القصير النحيل وخطوطها التي
تبرز شديديها وخصرها .. وعينيها الضيقتين كخطين جرهما الرسام
بقلم رفيع .. وشفتيها الضائعتين وسط لسونهما الذي يميل إلى
الاصفرار الممزوج بالسمر .. وتركها تحدثه باللغة الإنجليزية التي
تنكسر فوق لهجتها الأصلية المتماوجة الانغام دون أن يهमे ماذا
تقول .. ثم طلب أن يجتمع بخدم المنزل .. السائق والطباخ واثنين من
السفرجية وسعدية .. إن سعدية لا تبدو كأنها خادمة ولكنها تبدو
بالثوب الذي ترتديه وبوقفها المشدودة كأنها تفرض احترامها على
الجميع وكأنها سكرتيرة أو مديرة منزل ..

وأدار رشاد عينيه فوق وجوههم دون أن يسأل شيئا أو يتكلم

أسف .. لم أعد أستطيع

كلمة .. ثم أدار وجهه إلى «ميتا» وابتسم ابتسامة تكشف عن أسنان قوية ناصعة وسألها في صوت خفيض كأنه يغازلها :
- كم مضى عليك في القاهرة ..

وأجابت ميتا وعيناها تزدادان اتساعاً كأنها تريد أن تحتضنه بعينها وهي تبتسم كأنها نسيت الدبوس ونسيت دموعها :
- عام ونصف .. عام وسبعة شهور ..

وقال من خلال أسنانه الناصعة القوية : - أسف .. لم أرك من قبل حتى تكوني في حمايتنا ..

وقالت كأنها فرحة .. - هل أنا الآن في حمايتك .

قال وعيناها الذهمتان تنهمران عليها .

اطمئنى .. ثم استدار مرة واحدة ووضع ذراعه في ذراع سعدية وقال وابتسامته تتسع ولسانه يبحث عن كلمات انجليزية في قاموس لا يحفظه :

- سأخذ منك سعدية وسنعود بعد قليل ..

وشهقت سعدية وهمت أن تثور ولكنها توقفت أمام عينيها واستسلمت له ..

ومضى اليوم كله حتى كان المساء ..

وعاد رشاد إلى عمارة ليبون .. عاد وحده بلا سعدية ..

واستقبلته «ميتا» وعيناها أكثر اتساعاً وشفاتها الضائعتان مفتحتان إليه ..

وأعطاهما الدبوس ..

وقالت وهي تلتصق به وعيناها متعلقتان بفحولة وجهه ودون أن تنظر إلى الدبوس :

- دعنى أقدم لك كأساً ..

قال وأنفاسه تلف وجهها كأنه يخدرها :

..أنا لا أشرب الخمر..

قالت وهي تلتصق به أكثر:

..ماذا تشرب..

قال وهو يشدها بين عضلاته المدكوكة وفي عينيه نظرات وقحة:

..اشربك أنت..

وعلت الفرحة وجهها كأنها تزعر لليلة زفافها.. وتركته يشربها

وتشربه..



وكان رشاد خلف الله، منذ صباه يؤمن بالحلول السريعة الصريحة.. الحل هو أن يضرب فلانا فيضربه بلا تردد.. الحل هو أن يهرب فيهرب بسرعة.. وربما لهذا اختار أن يلتحق بكلية البوليس.. إن مهمة رجل البوليس هي مهمة سريعة صريحة.. وقد تزوج لأن الزواج كان هو الحل السريع الصريح عندما رأى هدى تسير مع أمها في شارع قصر النيل ولم يستطع أن يقاوم انبهاره بها.. وقد انجب منها ولدين خلال عشر سنوات ثم وجد أن هذا يكفي.. لا يريد مزيدا من الأولاد ولم يعد يريد لها.. وكان الحل السريع والصريح هو أن يطلقها ولكن كان وراء مظهره الذي يعبر عن القسوة والعنف احساس يفيض بالطيبة والرحمة.. إنه لا يستطيع أن يقسو على ضعيف.. ولذلك لم يطلق زوجته إنما اكتفى بهجرها حتى لا تتشرد ويتشرد معها ولداه.. وربما رحبت هدى بهذا الهجر ورضيت به فقد كانت قد تعبت منه..

وقد عرف عن رشاد هذه الطيبة حتى بين اللصوص والنشالين والمجرمين الذين يقعون بين يديه.. كان لا يكاد يقف أمامه أحد المقبوض عليهم وهو داخل قسم البوليس حتى يقفز من وراء مكتبه وينهال عليه ضربا.. إن الضرب هو الحل السريع الصريح للحصول على الاعتراف.. ويعد أن يعترف المقبوض عليه خصوصا في الجرائم

الصغيرة كجرائم السرقة أو النشل أو التعدى بالضرب كان كثيرا ما يجد أن المقبوض عليه في حاجة فعلا إلى السرقة أو النشل أو كان على حق في الاعتداء فيصين محضر التحقيق بحيث يفرج عنه ويثبت براءته ويكفيه « العلة » التي نالها قبل التحقيق.. حتى لو كان المتهم بريئا فعلا فقد كان في حاجة إلى هذه العلة حتى لا يضع نفسه مرة أخرى في وضع يقوده إلى قسم البوليس..

وعندما أخذ معه سعية خادمة « ميتا » كانت نظراته الثاقبة لها قد اقنعتة بأنها لصة هواية.. أى انها لا تحترف السرقة ولكنها مجرد هواية أقرب إلى المرض النفسى.. لم يبدأ بضربها كعادته ولكنه تركها تحت عينيه تحس انه على وشك أن يضربها أو يأمر بالقبض عليها فاعترفت.. اعترفت حتى قبل أن تصل إلى مبنى قسم البوليس وصحبته إلى حيث اعادت إليه الدبوس الذهبى المرصع بالؤلؤ والماس.. ولم يقبض عليها بل ولم يحرر لها محضرا.. تركها حرة واكتفى بأن سجل في دفاتر البوليس بأنه عثر على الحلية بعد البحث داخل البيت..

وهكذا كانت شخصيته عندما التقى بـ « ميتا ».. لقد عرف من التقاء عينيه بعينه أن الحل السريع الصريح هو أن يأخذها فأخذها.. «وميتا» تريده كل يوم وبدأ يتعود على عمارة الليبون المطلة على النيل وأصبح من حقه أن يقضى الليل فوق هذا الفراش الوثير داخل هذا البيت الغنى، وهو يحس بأنها ليست جميلة.. ويحس بحجمها الصغير بين ذراعيه وكأنه يلعب بعروسة مما يلعب بها الأطفال، ولكنها تعوضه بكل هذا الاستسلام وبكل هذا التدليل.. إنها تعد له كل شئ حتى حذاءه تنحنى لتضعه في قدميه.. ربما كانت هذه هى تقاليد بلدها.. المرأة جارية للرجل.. لقد عاش طوال عمره وهو عبد للمرأة التى يريدها.. لم يتمتع في حياته بكل هذا العز.. وقد بدأ يلاحظ

انها تريد منه الكثير.. تريده أكثر مما يريدُها.. معذورة.. انه جبار هكذا كان يحس بنفسه..

ولكن إجراءات السفر قد تمت و« ميتا » ستعود إلى بلدها.. وقد أجلت عودتها أسبوعا وأسبوعين ولكنها لم تعد تستطيع التأجيل.. رغم تعلقها به يجب أن تعود.. ماذا يفعل..؟

إن الحل السريع الصريح هو أن يعود معها.. يستقيل ويتزوجها.. لم لا..

لا يمكن أن تخطر في حياته امرأة مثلها.. انها ابنة نائب رئيس جمهورية وهو يعلم أن اباهها مليونيرا.. أبواب الجنة فتحت أمامه.. الحظ يرتفع به إلى فوق وينتشر له من وراء هذه القضبان التي تسجنه داخل مستقبل لا يزيد على قيمة مرتبه.. انه هناك سيكون شيئا آخر.. زوج ابنة نائب رئيس جمهورية.. المليونير.. وقد يعين هناك قائدا عاما للبوليس أو يصبح رجل أعمال يجنى الملايين من وراء الصفقات.. انه لا يفكر لنفسه فقط ولكنه يفكر أيضا لولديه وزوجته هدى.. سيرتفع بهم لمستوى أصحاب الملايين..

ولكن لماذا تركها الزوج الذى سبقه عصام رفعت؟ لا شك انها هى التى تركته.. لا يمكن أن يضحي رجل بزوجة هى ابنة نائب رئيس جمهورية.. وقال لها وهى بين ذراعيه:

.. سأسافر معك..

واتسعت عيناها كأنها تزعمد فرحة بنفسها وقالت:

.. هل تستطيع؟

قال وهو ينفخ صدره في غرور:

.. طبعا أستطيع..

قالت وهى لا تزال في فرحتها:

.. ولكنك قائد البوليس..

قال في استهانة:

.. استقيل واتزوجك واسافر معك..

وسكنت قليلا وانكملت ابتسامتها كأنها تفكر ثم قالت وهي
تعود وتخرج شفيتها من وراء الضياع؟

.. ولكنك متزوج..

قال:

.. لا يهم.. الشرع يعطيني الحق..

قالت وهي تبدو كأنها تشفق على زوجته:

.. هل ستطلقها؟

قال:

.. لا.. ستبقى مع الأولاد..

وعادت تسكت برهة كأنها تفكر ثم قالت وهي تعبت بأصابعها
الصغيرة في شعر صدره العاري:

.. ننزوج ولكن ليس هنا.. لقد تزوجت هنا مرة وفشل زواجي..

أصبحت اتشائم من زواجي هنا.. لنتزوج هناك.. في بلدنا..

وقال وهو يحضنها بابتسامته التي تكشف عن أسنانه القوية..

.. قولي الحق.. انك تريد أن تستأذني والدك قبل الزواج..

ونظرت إليه في دهشة كأنها فوجئت بشيء لم يخطر على بالها ثم
قالت:

.. إن من حقي أن اختار زوجي.. ولكن والدي يجب أن يعرف..

قال في غرور:

.. ولكن يجب على الأقل أن نعلن خطوبتنا هنا حتى تكون مبررا

لاستقالتي وسفري..

قالت وهي تقترب من شفيتها:

- موافقة يازوجى العزيز..

واستقبل رؤساءه طلب استقالته وأسبابها بضحكات عالية ووافقوا عليها ووافقوا على سفره لمجرد ألا يحرموا مصريا من فرصة كهذه رغم أنهم كانوا يعلمون أن هذه الفرصة أعطيت لمصرى قبله ولم يخرج منها بشيء.. لا يهم.. يكفى أن تكون ابنة نائب جمهورية تنهافت على الرجال المصريين.. دعاية عالمية.. وسافر بجانبها على مقعد فى الدرجة الأولى من الطائرة وهى التى تدفع كل النفقات..

ولم يكن الاستقبال عندما وصلا إلى هناك هو ما توقعه.. مجرد موظف يبدو صغيرا فى حجمه وفى مركزه يستقبلهما.. بل كان يستقبلها هى وحدها فهو لم يتقدم حتى لمصافحته وهى لم تقدمه إليه، وسار الموظف بجانبها وهو خلفهما، ولكنهم عندما وصلوا إلى السيارة البويك الفخمة خارج المطار تركه الموظف يجلس بجانبها وجلس هو بجانب السائق.. وكل ذلك دون أن يتبادل معه كلمة واحدة ولا حتى أهلا وسهلا.. لا يهم.. إن هذه رحلة خاصة ولا يمكن أن يستقبلا بعد عودتهما استقبالا رسميا..

ودخلت بهما السيارة إلى حديقة شاسعة.. خمسة أفدنة.. عشرة.. ويتوسطها قصر كبير متعدد الأجنحة.. وبدأ يشعر بالنشوة.. نشوة الوصول إلى الجنة.. وفتح لهما باب السيارة خادم يرتدى ثوبا خاصا مزركشا.. وسار بجانبهما داخل القصر وهى تقوده إلى جناح يطل على الحديقة الخلفية.. هذا الجناح المخصص «لميتا» جناح يشمل عدة غرف كأنه بيت قائم بذاته يشرف عليه عدد من الخدم.. أكثر من سبعة من الخدم رآهم يهيمون حولهما وفتح له باب.. هذه هى غرفته.. وفى داخلها باب آخر يؤدى إلى غرفتها.. وقالت ضاحكة:

- أرجو ألا نحتاج إلى الغرفتين..

أسف .. لم أعد أستطيع

ومر اليوم دون أن يرى أحدا من العائلة ولا من الأصدقاء..
هووهى وحدهما.. وقال لها وهما يتناولان العشاء وحدهما:
..الن نرى فخامة الوالد..

قالت بلا مبالاة:

..لماذا.. إننى لا أراه إلا إذا كنت أريد شيئا..

قال فى دهشة:

..الا تريد الزواج..

قالت فى بساطة:

.. هذا موضوع لا يهم والدى.. انه أنا وأنت فقط..

وتجههم وجهه وركبته شخصية رجل البوليس وقال فى حدة:

.. ولكن يجب أن ألتقى بالرجل الذى أتزوج ابنته وأقيم فى قصره..

وارتعشت رموشها فوق الخطين الرفيعين اللذين يرسمان عينيها
وقالت وهى تفتعل ابتسامة:

.. سترام.. طبعاً سترام..

وقامت بعد أن انتهيا من تناول العشاء وجذبتة من ذراعه فى رفق
وقالت كأنها تدله:

.. غرفتك أم غرفتى..

ونظر إليها فى دهشة كأنه صعق وقال..

..إننا فى بيت أبيك.. ألا تنتظر الزواج..

وقالت وهى تغريه بابتسامة خجولة وتتمسح فى صدره.

.. انهم هنا يفترضون اننا تزوجنا..

..وشدته فى دلال إلى غرفتها..

والايام تمر..يوم .. ثلاثة.. وكان ينتظر منذ اليوم الأول أن تتصل
به السفارة لتهنئه بسلامة الوصول، بل كان ينتظر أن يجد السفير
نفسه فى انتظاره بالمطار.. انه زوج ابنة نائب رئيس الجمهورية..

لعلهم لم يبلغوا رسميا بوصوله.. واتصل هو بالسفارة تليفونيا..
ورحب به السفير ترحيبا عاديا متحفظا كأنه يرحب بمصرى عادى
وليس زوج ابنة نائب رئيس جمهورية.. وهو ليس عاديا.. انه على
الأقل يقيم فى هذا القصر وكان ينتظر أن يأتى السفير لزيارته.. زيارته
فى القصر.. ولكن لا السفير ولا أحد من موظفى السفارة يطلب زيارته
أو يسأل عنه..

وفى اليوم الثانى سمع ضجيجا فى الجناح الملاصق له.. موسيقى
صارخة.. وضحكات.. وأصوات تتكلم وتصرخ.. ثم رأى وهو واقف
أمام الشباك المطل على الحديقة شابا يخرج من هذا الجناح وهو
يجرى ضاحكا وخلفه رجلان يلاحقانه.. إن الشاب ترك شعر رأسه
مسدلا حتى كتفيه وقد علق به زهرة حمراء.. ووجهه يلمع كأنه
مدهون بالاصباغ.. وينطلقون محزق حول وسطه كأنه يرتديه تحت
جلده.. لاشك انه شاب شاذ.. مصاب بالشذوذ.. مصاب فى رجولته..
وقلب رشاد شفتيه فى قرف.. عندما كان يصل إليه فى مركز البوليس
شاب من هذا النوع من يحكم عليه بيوم كامل يضرب فيه ويتبادل
ضربه كل عساكر القسم قبل أن يبدأ التحقيق معه..
وقالت « ميتا » وهى واقفة بجانبه وبين شفتيها ابتسامة وفى
عينيه نظرات اعجاب وحنان .

إنه أخى .

قال وهو يكاد يبصق قرفه من بين شفتيه:

– ان تقدمينى إليه ..

وقالت وهى تحنى رأسها فى خجل كأنها عذراء لا تستطيع أن
تنطق بالكلمة:

– انه لا يدخل فى اختصاصك.. لا أعتقد أنك تستطيع أن تتعامل
معه..

هل تقصد أن أخاها من هذا النوع.. وتعترف.. وأدار ظهره

للشباك وهو حائر.. لا يدري ماذا يقول.. وماذا يطلب.. وكيف يتصرف.. ويحس لأول مرة أن ذكاه يخونه..

وكانت تصحبه في السيارة كل يوم وتطوف به حول المدينة.. ترتفع به فوق الجبال وتهبط به الوديان وتعبر به الأنهار.. وهو مبهور بهذه الطبيعة الأسبوية.. انها أول مرة يخرج فيها من مصر ليرى كل ذلك.. حتى الغابات التي كان يسمع عنها أو يراها بخياله رآها بعينه..

وتصحبه خلال الطريق ليتناول الطعام في مطعم.. انها تستقبل استقبالا عابدا كأنها لم تفاجئ أحدًا بحضورها رغم أنه يبدو أن الجميع يعرفونها.. ولا أحد يهتم به أو يتقدم لتحيته حتى ولا الجرسون.. يجب أن يتعود أن يتولى هو فرض شخصيته.. أن يثبت وجوده.. ولكن كيف..

وتعود به في آخر النهار إلى الفراش.. أن كل بيتها هو هذا الفراش.. بل لعله كل دنياها.. أنه لم يكتشف لها أي نشاط اجتماعي رغم أن المرأة في بلادها مدت نشاطها الاجتماعي والسياسي حتى وصلت إلى مركز الوزارة وسمع عن نساء يتولين مناصب القضاء.. وهي لا تقيم ولا تدعى إلى حفلات لا رسمية ولا شخصية.. مرة واحدة قالت له انها مدعوة إلى حفل عام لعله كان حفل عيد الاستقلال ولم يكن مدعوا معها.. وفيما عدا ذلك فلا يدخل البيت إلا هذا الموظف الصغير ويجلس معها وقد علم أنه السكرتير المعين لها للاشراف على حسابات ميزانيتها.. يبدو أن أباه قد خصص لها ميزانية محددة.. وهي لا تقول له شيئًا عن هذه الميزانية، وهو ينتظر بين يوم وآخر أن تتكلم عن نظام المعيشة بينهما.. من أين يعيش.. وكيف يعيش في بلدها.. ولكنها لا تقول شيئًا.. وقد بدأ يكتشف ويقتنع انها بخيلة.. انها تنفق عليه أولاً بأول.. تدفع المصاريف وتعفيه من أن يضع يده في جيبه..

مصاريق تافهة. ولم تفاجئه يوما بهدية لها قيمة.. كلها أشياء صغيرة.. وقد تذكرت يوما أنه لم يحمل معه ملابس الصيف فاعتذرت له عن إهمالها ثم فوجيء بسكرتيرها الصغير الحجم والصغير المركز يأتي إليه ومعه ثلاثة يحملون لفافات كثيرة.. صنعت له بدلتين صيفي وستة قمصان وستة غيارات.. وعرضوا عليه مجموعة من الكرافات واختار اثنتين وقبل أن يختار الثالثة كان السكرتير قد سحب المجموعة من أمامه..

وقال لها يوما إنه في انتظار وصول أمواله التي حولها من القاهرة ولكنه لم يتلق أى شيء.. لا يدرى ماذا حدث.. وكان يكذب.. فكل أمواله لا تزيد على خمسمائة دولار جمعها من القاهرة وحملها في جيبه.. وقالت وشفها الضائعتان تبتسمان من خلال لونهما الأصفر المشرب بالسمرة:

- لا يهم.. عندنا دائما ما يكفى..

ووجدت السكرتير بعد قليل يحمل له مظروفا صغيرا في داخله من النقد المحلى ما قيمته ألف دولار.. ماذا تساوى ألف دولار وهو يعيش في هذا القصر مع ابنة المليونير.. ورفع المبلغ الذى استلمه في وجهها قائلا:

- هل يكفى هذا كبقشيش لخدم القصر..

وقالت « ميتا » من خلال ابتسامتها الخجولة:

- لا تعودهم على البقشيش..

ولم تعرض عليه أكثر..

وطلب السيارة ليطوف بها في أنحاء المدينة وحده.. وقالت:

ألا تريدنى..

قال ضاحكا:

- انك وأنت معى لا أرى إلا أنت.. دعيتى أرى البلد..

وسار في شوارع المدينة وعقله مشغول بمصيره.. أنه يفكر في أن يذهب بنفسه إلى السفارة المصرية لعلهم هناك يستطيعون أن يكشفوا له عن الحقائق التي تحيط به.. عن هذا اللغز الذي يعيش فيه.. ولكنه لا يريد أن يذهب إلا بعد أن يستكمل وجوده هنا.. إلا بعد أن يتزوج ابنة نائب رئيس الجمهورية.. إن رجال السفارة إلى الآن يتجاهلونه فليفرض نفسه عليهم بالمركز الذي سيصل إليه.. وعاد إلى «ميتا» ووقف أمامها وقد علت وجهه كل ما فيه من علامات القسوة والعنف وصرخ:

— اسمعى.. إما أن أقابل أبك اليوم أو أعود إلى مصر غدا.. إننى واثق انه لن يرضى بما نحن فيه.. وقالت «ميتا» وهى تنكمش تحت ذراعه كأنها تحتوى به منه : — ستراه .. ولكن غدا .. أرجوك .. تراه غدا وليس اليوم .. والتقى به ..

واستقبله متجهما ساخطا كما استقبل من قبله المصرى الآخر «عصام رفعت» وربما كما يستقبل كل من يأتى إليه عن طريق ابنته وقال كأنه يسبه دون أن يمد يده لمصافحته : — ماذا تريد ..

وتحمل رشاد هذا اللقاء الجاف وقال في أدب : — جئت أشكر فخامتك على ضيافتك لى .. وجئت لأطلب يد ابنتك «ميتا» .. لقد التقيت بها فى القاهرة .. وقاطعه الأب فى حدة :

— أنا لم استضفك حتى تشكرنى .. وحياة ابنتى الخاصة ليست من اختصاصى .. ليس فيها ما أقبله أو أرفضه .. أفعل معها وبها ما تتفقان عليه ..

وفوجئ «رشاد» بهذا الأب وهذه الوقاحة رغم أن «ميتا» كانت قد

حذرته من قبل .. وقاوم .. إنه ضابط بوليس يستطيع أن يتحمل كثيرا من المفاجآت ويستطيع أن يتفاهم مع كل العقليات .. ربما لم تكن هذه العقلية التي أمامه عقلية أب ولا حتى عقلية منصب كبير ولكنها لا شك عقلية مليونير .. والمليونيرات كاللصوص .. الموضوع الذى يهتمهم هو موضوع الاستيلاء ..

وقال «رشاد» وهو يستعين بكل ذكائه وكل لباقتة :— ربما هناك موضوع آخر يهتمك فانى أعلم أنه سبق لك زيارة مصر وهناك مجالات كثيرة للتعامل مع مصر يمكن أن نحقق من خلالها مشروعات كبيرة و .. وعادة الأب يقاطعه :

— لقد زرت مصر بصفة رسمية .. مجرد تبادل مظاهر دولية .. ولم يكن يهمنى أن اكتشف أى مجال فيها ولا أعتقد أن فيها ما يهمنى .. إذا كان هناك ما يهتمك أنت فاعرضه على الجهات المسئولة .. وأسف .. أنا مشغول .. مع السلامة ..

وخرج مطرودا يجرى إلى «ميتا» ..

— وأمسك بها من كتفها كأنه يعصرها بين كفيه وصرخ :

— لننزوج .. اليوم .. حالا .. الزواج .. الزواج الآن .

وسقطت «ميتا» تحت قدميه وأخذت تمسح وجهها فوق حذائه

وهى تقول :

— أنك لا تحبنى .. أنك تريد الزواج ولا تريد الحب .. وقال صارخا

الزواج حتى أتساوى مع ابيك واستطيع أن أرد عليه .. وقالت وهى ترفع إليه وجهها فى استجداء :

— أنك لا تعرف بعد هذا البلد .. إن الزواج لن يحدد لك وضعاً ..

لقد جرب المجتمع المرات التى تزوجت فيها .. أربع مرات فشلت كلها كلها .. وستكون أنت الفشل الخامس .. إنى أعرف .. لا أحد اتزوجه إلا ويسعى إلى الطلاق .. لن يحمينا إلا الحب .. والاكتفاء بالحب ..

وعاد يصرخ :

— انك لا تعرفين الحب .. لاتعرفين إلا الفراش ..

قالت وهى تزال تحت قدميه :

— وأين نجد الفراش إذا تزوجنا .. إن أبى لا يسمح لى بإقامة هنا إلا لأننى لست متزوجة .. انه لا يسمح بأن يقيم فى بيته إنسان منسوب إليه رسميا .. ولكنه يسمح فقط بإقامة الضيوف .. فأين تقيم بعد الزواج .. سنضطر أن نعود إلى القاهرة أو نسافر إلى أى بلد ونبقى دائما تحت رحمة أبى ..

وكل طبيعته كرجل بوليس تتجمع فى أعصابه .. هذه المرأة مجرمة .. لصة .. سرقة .. ورفع قدمه وشاطها بقسوة حتى تدحرجت أمامه على الأرض .. وهو يصرخ :

— لقد وعدتني بالزواج .. انى لم آت إلى هنا إلا لاتزوجك .

وتركها وخرج من البيت .. خرج مطمئنا إلى انه لم يؤذيها ولم يحطم منها شيئا عندما ضربها فقد تعلم كيف يضرب دون أن يترك اثرا على الجسم .. واستدعى السيارة وهو يأمر كآنه قرر أن يكون صاحب البيت .. وأمر السائق أن يطوف به خارج المدينة وهو تائه فى افكاره .. هل يعود إلى مصر .. هل يعود وهو يحمل فشله وفضيخته وبقايا قواه المستنزفة .. لا بد أن هناك وسيلة يستطيع أن يصل بها إلى شيء .. انه لا يعلم كل شيء عن هذا البلد ولا عن ميثا وعائلتها .. ربما كان عليه أن يبدأ بالاتصال بالسفارة المصرية وأن يصادق رجالها ليعرف كل شيء وليحتفظ باحترامه لنفسه بحمايتهم بدلا من وحدته فى فراش ميثا ..

واستقبله السفير فى حدود اللوائح الرسمية .. لم يرحب به ولم يشجعه على اكتساب صداقته .. ولكن مستشار السفارة كان شابا

يعرفه وسبق ان التقى به لقاء عابر في القاهرة.. ورحب المستشار وقبل صداقته وبدأ يقول له كل ما لا يعرفه ..

إن أباه ليس له أهمية منصبه في بلده.. انه عين في هذا المنصب كغطية للأوضاع الطائفية.. مجرد مظهر من المظاهر التي ترمز إلى وحدة البلد حتى لو كانت وحدة كاذبة.. كل بلاد الدنيا يحدث فيها هذا التنظيم المظهري.. انهم في الهند يختارون رئيس الجمهورية من المسلمين دون أن تكون له أى سلطات تنفيذية.. السلطة كلها في يد رئيس الوزراء الهندي.. مجرد تغطية لمظاهر الوحدة وارضاء النزاعات الطائفية.. وهكذا أبو ميتا.. ليس له نفوذ في البلد.. وقد اختير نائب رئيس جمهورية لأنه أغنى فرد في طائفته .. انه مليونير.. ولا يزال كل ما يهمه هو ملايينه.. لا يهمه هذا المنصب في شيء.. وعلى قدر نجاحه في استثمار ملايينه فهو مصاب في ابنته وفي ابنه أيضا.. كلاهما مريض.. مريض بالشذوذ.. والمجتمع كله يعلم بمرضهما ويتندر بقصص هذا المرض حتى لم يعودا مقبولين في هذا البلد.. وأبوهما حاول أن يصد عنهما هذا الشذوذ.. ولكن مستحيل.. وانتهى إلى أن خصص لكل منهما جناحا في قصره لممارسة هذا الشذوذ بدلا من أن يفضحاه في شوارع ومجتمعات البلد.. وعندما صحب معه ابنته إلى القاهرة كان في طريقه لان يدخلها مستشفى في ألمانيا سمع انه يعالج الشذوذ ولكن شذوذها تغلب عليها عندما التقت بالرجل الذي تزوجته هناك.. وتركها أبوها لشذوذها لأنه يخشى القضية إذا تصدى لها ..

وكان رشاد يعلم أن ميتا مريضة.. أو على الأقل كان يقدر شذوذها ولكنه لم يكن يعلم انها معروفة بهذا الشذوذ..

ماذا يفعل ؟

هل يعود إلى مصر..؟

بعد أن ترك زوجته وأولاده على أمل أن يعود إليهم مليونيرا.. هل يعود يخفى الفشل ؟

وهو لا يستطيع أن يقرر العودة، وإحساسه بالفشل جعله أكثر استسلاما لميتا.. وهي تستنزفه.. تمتصه.. وبدأ يبحث عن الأدوية المقوية.. ان ميتا أيضا تبحث له، وتأتى له بأدوية خاصة من اليابان ومن الهند ومن كوريا ويتحدثان معا عن تجربة حقن هـ ٣.. وهى دائما تريده.. لا تمله أبدا، حتى يشكو الهزال ..

وكان قد مضت ثمانية شهور عندما قال لها :

— انى أريد أن أجد عملا. ضقت بهذا الفراغ ..

قالت فى دهشة :

— لماذا .. ماذا ينقصك.. كل شىء تريده ستجده..

قال فى زهق :

— أريد أن أعمل.. أن أحس بأنى أحمل مسؤولية . قالت وهى

تبتسم له وتركم تحت قدميه :

— أنا مسئوليتك وأنت مسئوليتى..

ولكنه يلح فى أن تساعد أن يجد عملا.. يحمل مسئوليته..

وعرضت عليه أن يحمل مسؤولية مزرعة يملكها أبوها.. وفرح .. انها

مزرعة كبيرة.. مئات الهكتارات.. ولكنه عندما ذهب معها إلى هناك

لم يجد شيئا يعمل به إلا أن يتجول فى الحديقة ويقص الزهور.. انها هى

دائما بخيلة.. لا تعطيه شيئا أبدا حتى ولا حق الاشراف على مزرعة..

وكان قد مضى عام وبضعة أشهر..

لا أمل.. إن الحل السريع الصريح هو أن يعود.. يجب أن يعود..

واستقبلت قراره كأنها لم تفاجأ بشىء.. حتى لو كانت قد تزوجته لما

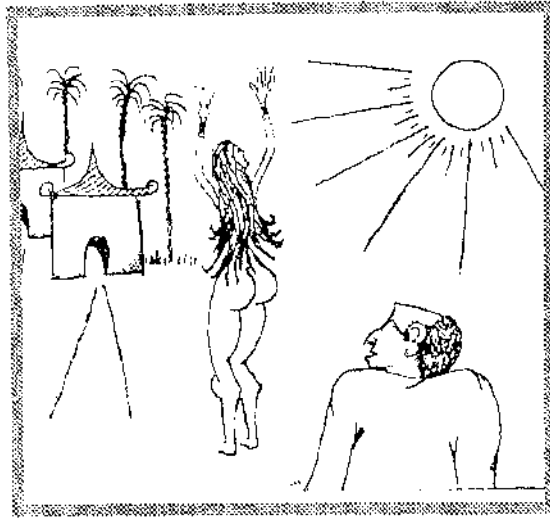
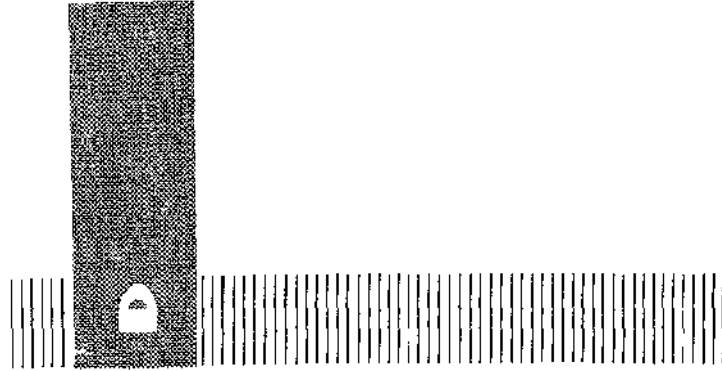
اختلفت النهاية.. وسكتت كأنها مومس تعلم أن ليس من حقها

مناقشة الزبون ..

وأعد له السكرتير تذاكر العودة .. أنه يعود أيضا في الدرجة الأولى..

وميتا تشب إليه بعينيها كأنها تودعه بكلمة شكر وهو يسكب عليها نظراته من فوق.. نظرات لا تحمل شيئا من قسوته بل تحمل كل طيبته كأنه يوعدها بكلمة رثاء ..

تمت



کان یعیسئ

مە ز لسانە

كان يعيش

مع لسانه !

كان ضعف مصطفى عبد القادر في لسانه .. كل أفكاره وأحاسيسه تنعكس على لسانه .. يفكر بصوت مسموع .. ويحس إحساسا مسموعا .. ويتكلم .. لا يستطيع أن يتوقف عن الكلام .. وقد تجده جالسا وحده وهو يتكلم بصوت مسموع .. إنه في الواقع يفكر وأفكاره تعبر عن نفسها بلسانه .. وقد يجلس ليقرا كتابا أو جريدة ينطلق كل ما يقرأه على لسانه .. يقرأ بصوت مسموع .. وإذا جلس ليكتب خرجت كل كلمة يكتبها من فوق لسانه .. يكتب أيضا بصوت مسموع وقد يتعمد ألا يكون صوته مسموعا فيقرأ ويكتب وشفاته تتحركان فوق لسانه دون أن يسمع أحد صوته ..

ولا يدري متى أصيب بمرض الاستسلام للسانه .. ربما منذ كان طفلا يعلمونه القراءة بصوت مسموع .. بآء فتحه با .. سين ضمة سو فتعود على أن يعبر بلسانه عن كل ما يراه بعينه وعن كل ما يدخل أو يخرج من عقله .. وربما ورث هذا المرض عن أمه فقد كانت امرأة ثرثرة لا تكف عن الكلام فإن لم تجد أحدا أمامها توجه إليه الكلام انطلقت تكلم نفسها بصوت مسموع .. كانت تقف في المطبخ وهي تحدث نفسها .. هل هذه كوسة .. النصاب ابن النصاب يبيعني الكوسة كأنها قطع من الحجارة .. وتبقى تتكلم إلى أن تخرج من

المطبخ لتتكلم في الحمام ثم لتتكلم وهي تشرف على الخادمة التي تكنس فإذا عاد والده ازدحم الكلام فوق لسانها وارتفع صوتها أكثر ووالده صامت دائما ..

وقد تأثر بشخصية أمه أكثر مما تأثر بشخصية أبيه لأن أمه كانت في البيت هي الشخصية الأقوى .. الثرثرة قوة .. وبلغ من تأثره بأمه أنهما كانا هما الاثنان عندما يجلسان معا يثرثران في وقت واحد دون أن ينتظر أحدهما الآخر حتى ينتهي من كلامه وأبوه معهما صامت كأنه يستمع إلى مقطوعة موسيقية تطربه دون أن يحتاج إلى فهمها ..

ولم يكن مصطفى يحس بأنه ثرثار أو يعاني من استسلامه للسانه .. كان يعتبر نفسه إنسانا طبيعيا .. أيضا إنسان ناجح .. كان ينجح بتفوقه في كل سنوات الدراسة ولم يلتحق بكلية الحقوق حتى يتخرج كمحام ويحترف الثرثرة بل التحق بكلية التجارة وتخرج بتفوق والتحق بالعمل في شركة النصر واستطاع في سنتين أن يحصل على مركز رئيسي في الشركة .. إنه دائما يعمل ويدرس ويتفوق ويثرثر .. ولم يكن يلاحظ أن كثيرين من زملائه كانوا يتحملون ثرثرته في ضيق وكانوا أحيانا ينصرفون عنه قبل أن يتم كلامه .. وأحيانا أخرى كانوا يستزيدونه من الكلام لأن ثرثرته في الواقع لم تكن كلها كلام تافه أو كلام فاض بل كانت تجمع معلومات وآراء لها قيمتها نتيجة دراساته ..

إلى أن تزوج سعاد ..

ولم تكن فترة الخطوبة طويلة بحيث تستطيع سعاد أن تحكم على مدى تحملها لطبيعة مصطفى .. بل أنها اعتبرت ثرثرته مسلية تملأ فراغ أذنيها .. وقد بدأت دهشتها عندما وجدته يتكلم أثناء الزفة التي أقيمت لها .. زفة العروسة .. ثم وهما جالسان على الكوشة .. لا يمكن أن يشغله شيء عن الكلام .. كل هذه الضجة والفرحة وهو يتكلم ..

إنه يروى لها ذكرياته عن أفراح أصدقائه .. ثم يسرد لها تاريخ زفة العروسة وكيف تغيرت التقاليد الفرعونية بعد وصول الإسلام إلى مصر .. ثم يطلق لسانه على كل المدعوين والمدعوات .. وهى بجانبه توزع ابتساماتها وتحبى صديقاتها وتسمع بعض كلامه ولا تسمعه كله ..

وفوجئت أكثر عندما أصبحا وحدهما فى غرفتهما .. ليلة الدخلة .. إنه لا يكف عن الكلام .. إنه يرفع يدها إلى شفتيه ويقبلها ثم يعود يتكلم .. ويخلع عنها ثوبها وهو يتكلم .. وأكثر .. إنها أصبحت بين أحضانه وهو يتكلم .. ويقبلها قبلة سريعة ثم يعود ويتكلم .. كأنه لا يستطيع أن يستكمل متعته بها إلا وهو يتكلم ..

وهى ..

إنها تريد أن تتفرغ لاحتساسها بلحظة عمرها فى هدوء .. فى صمت وعلقت شفتيها بشفتيه حتى تسكته .. ولكنه جذب شفتيه بعد برهة سريعة وعاد يتكلم .. إنه يتكلم وهى بين أحضانه وكلها له .. يتكلم عن الحب وعن المستقبل وعن الأولاد وعن الترقية التى ينتظرها .. واحتساسها به يضيق منها .. إنها لا تستطيع .. أنها تحس وهو يتكلم كأنها معه فى غرفة الصالون لا فى غرفة النوم .. كأنها معه فى مقهى لا فوق فراش ..

وهو يتكلم حتى بعد أن أطلقها من بين ذراعيه ..

وقالت فى هدوء وبين شفتيها ابتسامة مفتعلة :

- أسكت يا مصطفى .. دعنى أنام ..

قال وهو محتفظ بفرحته وبكل حيويته :

- لك حق .. لقد كان يوما مزدحما .. لقد صحت فى الخامسة صباحا وطول اليوم وأنا على قدمى ولكن أتعب ساعة كانت ساعة الزفة .. أتدريين كيف عثرنا على العاملة ..

وبدا يروي لها حكاية اتفاقه مع العالمة والراقصة والطباخ ..
وصرخت سعاد:

- مصطفى .. قلت لك اسكت .. أريد أن أنام ..
وفوجيء مصطفى ..

ليست هذه لهجة عروس في ليلة زفاف .. إنها كأنها تأمره .. كأنها تنهره .. ثم لماذا لا تنام وهو يتكلم .. إنه لا يمنعها من النوم .. ولا يريد منها شيئاً أكثر .. إن أباه ينام بينما أمه تتكلم ..
وسكت عن الكلام ..
الواقع أنه لم يسكت .. ولكنه كتم صوته لسانه وشفته تتحركان يتحدث بهما إلى نفسه ..



ولم يدم زواج مصطفى وسعاد ..
إنها لم تستطع أن توقفه عن ثرثرته ولم تعد تتحملها .. إنه يقرأ كتاب أبله نظيرة ويناقشها في كل طبق تقدمه .. ويقرأ كتب الأزياء والمجلات النسائية ويناقشها في كل ثوب .. مناقشات .. مناقشات ..
فلذا لم يجد ما يناقشه أخذ يحدثها عن عمله أو عن التاريخ أو السياسة .. وقد تفرغ كله لها .. لا يتركها أبداً مادام ليس في عمله ..
ليس له أصدقاء يرحمونهم منه بعض الوقت يتحملون عنها بعض ثرثرته .. وكانت تصرخ فيه .. اسكت .. ثم أصبحت تصرخ فيه ..
أخسر .. وترفض كل آرائه لمجرد أنها آراء يبيديها كعذر لاشباع شهوته للكلام ..

وهو أيضاً لم يعد يستطيع أن يستمر في حياته معها .. أنها تريد أن تسكته كما أسكتت أمه أباه .. تريد أن تكون الشخصية الأقوى في البيت .. مستحيل .. هو الأقوى .. هو الذي يفرض شخصيته هو الذي يفرض طبيعته حتى لو كانت طبيعة ثرثارة ..

وقد انفصلا مرة ومرتين والأهل يعيدون كلا منهما للأخر وفي كل مرة يعود وهو أشد ثرثرة وهى أشد ضيقا إلى أن تم الطلاق .. وكانت صدمة الطلاق هى التى جعلت مصطفى يعترف بينه وبين نفسه بأنه ثرثار مستسلم للسانه .. ولم يكن يعترف قبلها بأن هذا عيب أو نقص فى طبيعته .. ماذا لو كان ثرثارا .. ان الثرثرة هواية كلعب الطاولة أو كالغناء .. انه يغنى بلا الحان .. ولم يحاول أن يقاوم ثرثرته بعد أن اعترف بها ولكنه أصبح أكثر حرصا على ألا يضايق الناس بها .. وأصبح يختار الناس الذين يجالسهم ويعتقد أنهم أكثر إقبالا وتحملا لثرثرته .. ويتعمد عندما تغلب شهوة الكلام أن يتكلم بلا صوت وبمجرد تحريك شفثيه .. ثم أصبح يميل أكثر إلى العزلة .. ينفرد بنفسه بصوت مسموع أو يدخل مع أمه فى أغنية مشتركة من الثرثرة ..

ولن يتزوج أبدا بعد سعاد ..

أصبح مقتنعا بأنه لن يجد المرأة التى تستطيع أن تتحمل طبيعته وتعيش معه ربما لأن كل النساء يردن أن يحتفظن بحق الثرثرة لأنفسهن ولا يتنازلن عن شىء منه للرجل ..

وكانت قد مضت سنوات على طلاقه من سعاد عندما كلفته الشركة بالسفر مع العضو المنتدب والسكرتير العام إلى كوريا لعقد صفقة لاستيراد السمك .. إن مصر تملك نهر النيل وتملك حق الصيد فى بحرين .. الأبيض .. والأحمر .. وتملك خمس بحيرات .. ورغم ذلك تستورد مصر السمك .. وتستورده من آخر بلاد الدنيا .. ومصطفى مقتنع بعملية استيراد السمك .. ان السمك مادة غذائية والمواد الغذائية تتطلب سرعة الطرح فى الأسواق .. واستيراد السمك من الخارج يتم أسرع من استيراد مراكب صيد حديدية ثم تدريب الصيادين على هذه المراكب ثم تدريب السمك المصرى على أن يصاد

ويؤكل بعد أن تعود على أن يلعب مطمئنا في المياه المصرية ..
ويهر مصطفى بالطبيعة في كوريا .. الجبال والوديان والثلوج
والأمطار والغايات والمزارع .. وبهر أكثر بالإنسان الكورى .. هذا
اللون الأسمر المشرب الصفرة .. وهذه الأجسام الصغيرة الخفيفة
كان الناس هناك تطير ولا تمشى .. هذه التقاليد التى تفرض تبادل
الاحترام فى مظاهر تبدو وكأنها عبادة .. كل واحد هناك يعبد الآخر ..
وانطلق لسانه يغنى بكل ما يراه .. لا يستطيع أن يسكت أبدا عن
الثثرة ولكنه يراعى قوة احتمال العضو المنتدب والسكرتير العام
فيكتم معظم ثرثرته تحت لسانه ..

إلى أن دعى مع أعضاء الوفد لقضاء سهرة فى بيت من بيوت
الكيسنج .. انها كبيوت الجيشا فى اليابان .. ولكن بيوت الجيشا فقدت
أصلها العريق وتقاليدها القديمة وأصبحت بيوتا سياحية يبدو
ما تقدمه كأنها استعراضات مفتعلة لبقايا من التاريخ القديم ولمجرد
تسلية السواح .. أما بيوت الكيسنج فى كوريا فلا تزال محتفظة بكل
عراقتها وتقاليدها ربما لأن الحركة السياحية أخف فى كوريا عنها فى
اليابان .. ثم إنها بيوت محترمة إلى حد أن تدعى إليها الشخصيات
والوفود الرسمية ..

ودخل مصطفى إلى بهو واسع لامع .. كل شيء فيه يلمع ..
وتنتشر فيه كل ملامح الفن الكورى العريق على الجدران وفى قطع
الأثاث .. وجلس مع أعضاء الوفد وكبار رجال شركة تصدير
الأسماك .. جلسوا على وسائل ملقاة على الأرض حول مائدة واطئة
صفت عليها عشرات الأطباق وعشرات الزجاجات من كل أنواع
المشروبات .. وكل واحد منهم جلست بجانبه فتاة .. كلهن صغيرات
ربما كانت أكبرهن لا تتجاوز العشرين من عمرها ..

وجلست باولاتاو بجانب مصطفى .. انه لم يخترها ثم إنه عود

نفسه منذ سنوات على أن يعيش في غنى عن كل أنواع النساء ، ولكنها جاءت وجلست بجانبه في بساطة وبين شفثتها ابتسامه حلوة خجولة مهذبة كأنها تعرفه منذ زمان طويل .. وكأنه سيدها .. وبدأت منذ أول لحظة في خدمته .. انها تفرش الفوطه فوق ساقيه الممدودتين تحت المائدة ، ثم تعرض عليه أطباق الطعام طبقا طبقا .. ثم تقدم له أنواع الكؤوس ليختار منها .. ثم ترفع فوطه وتمسح قطرة من المشروب علقت بجانب شفثيه .. ولكنها لا تتكلم .. وهو لم يتحقق بعد من مستوى جمالها ولم يكتشف سيولة شعرها الناعم الطويل ولا لون عينيها كان بينهما نجمة تلمع في سواد ليل جميل .. ولكنه يتكلم .. انطلق بكل طبيعته الثرثارة يتكلم .. وهي لا تقاطعه .. ويسألها ولا تجيب .. انها لا تفهمه .. انه يتحدث إليها بالانجليزية وهي لا تعرف الانجليزية .. لا تنطق بأى لغة إلا لغتها الكورية التي لا يعرف منها كلمة .. ورغم ذلك انطلق يتكلم في صوت لا تسمعه إلا باولاتاو .. وهو سعيد .. ان يتمتع بكل شهوة الكلام .. وهي لا تضيق ولا تقاطعه ولكنها بين الحين والحين تمد العصي الرفيعة التي تستعمل في تناول الطعام بدلا من الشوكة ، وتلتقط بها بعض الطعام ثم ترفعه إلى شفثيه .. انها تناوله الطعام في فمه .. ويأكل ثم يعود يتكلم وكل كلامه ينعكس كابتسامة حلوة على شفثيه دون أن تفهم شيئا مما يقول .. حتى عندما بدأ العرض الذى يقدمونه هناك .. موسيقى كورية لا تزال محتفظة بكل أصالتها بعيدا عن الموسيقى الأمريكية .. ورقصات كورية كأنها خطوات ملائكة عدن إلى الدنيا عبر التاريخ الفنى القديم حتى خلال هذا العرض لم يكف عن الكلام وهي لا تزال ملتفتة بكلها إليه تناوله ابتسامتها الحلوة وقطعا من الطعام ورشقات من الشراب ..

والسهرة انتهت .. وهو قد استعاد كل متعته بنفسه .. ان باولاتاو

منحته أسعد لحظات عمره .. منحته حق أن يعيش بطبيعته دون أن يحس بأنه يتقل عليها ودون أن يبدو عليها الضيق بهذه الطبيعة الثرثارة .. وهو يريد أن يلقاها مرة ثانية .. وأخذ يشير إليها بيديه وأصابعه كأنه يتحدث إلى طرشاء خرساء لتفهم أنه يحدد لها موعد لقاء .. ولعلها فهمت ما يريد أن يقول فأشارت له إلى شخص يقف بعيدا وكان يقوم بمهمة الاشراف على الحفل . وفهم أنه يجب أن يتفاهم مع هذا الرجل على ما يريد .. وأشار يدعو الرجل فجاءه منحنيا في أدب وقال له مصطفى بالانجليزية أنه يريد أن يلتقى غدا مع باولاتاو خارج بيت الكيسنج .. واستأذنه الرجل دقيقة واحدة ثم اختفى خارج البهو وعاد بسرعة ليقول له أن باولاتاو ستلحق به الليلة في غرفته بالفندق .. ودهش مصطفى .. كان كل ما يريده أن يلتقى بها غدا ليصحبها في الطواف بالمدينة .. ويتكلم .. ولكنهم كرماء انهم يعطون كل شيء .. أو لعلهم فهموا أن هذا ما يريده مصطفى .. وابتسم في سعادة .. ستقضى باولاتاو الليلة معه .. إنه منذ أيام زوجته سعاد لم ير امرأة في فراش .. ولن يعترض العضو المتدب ولا السكرتير العام .. لعل كلا منهما سيكون هو الآخر في انتظار امرأة تلحق به في الفندق ..

وجلس في غرفته ينتظرها ولم تتأخر كثيرا .. جاءت على خفر وهي لا تزال مرتدية الثوب الوطني الهفهاف الواسع الذى يضيق بحزام تحت نهديها .. وهو يتكلم منذ دخلت .. وهي تخدم .. انها تساوى الفراش الذى سينام عليه .. ثم تخلع عنه بدلاته .. ثم تنحنى على الأرض وتخلع عنه حذاءه .. وتتكلم بإشارات يديها .. هل يريد أن يغسل قدميه .. ويضحك .. لا .. هذا كثير .. ثم ينطلق في الكلام .. حتى وهو في الفراش يتكلم .. وهي لا تقاطعه ولا تضيق به ولا تريد أن تنام وابتسامتها ترد على كلامه إلى أن نام هو .. ولعلها نامت بعده ..

لا يدري .. فعندما استيقظ في الصباح وجدها يقظة بجانبه تقول له
من خلال ابتسامتها صباح الخير بلغتها الكورية ..
إنه يريد لها أن تبقى معه ..

واستطاع أن يتصل ببيت الكيسنج ليسمحوا لها بالبقاء معه .. انه
مستعد أن يدفع كل ما يطلبونه ولكن البيت أعفاه من الدفع .. وليس
من الثقاليد أن تأخذ الكيسنج أموالا من غريب .. لعل شركة تصدير
الأسماك قد أدخلت أتعاب الكيسنج ضمن مصاريف البضاعة ..

وهو مع باولاتاو في كل أوقات فراغه .. ويتكلم .. يتكلم بالانجليزية
وأحيانا بالعربية ويتفاهم معها بالاشارة ويتصاحكان وهو يجعلها
تنطق بعض الكلمات العربية .. وكانت أول كلمة تنطقها كلمة أحبك ..

وهو مندهش من نفسه .. كيف تعلق بها إلى هذا الحد .. هل يمكن
أن يكون قد أحبها .. وهل يمكن أن يحب امرأة لا تفهمه ولا تتكلم لغته
.. ربما كان هذا نوعا من الحب .. كأنه يحب كلبه .. ان هناك اناسا
تحب الكلب حبا يتعلق بكل كيانهم .. والذي يحب كلبه لا يتكلم معه
ولكنه يتكلم إليه ويستطيع مع الوقت أن يتفاهم معه ..

إن باولاتاو كلبته أو قطته أو عصفورته ..

وهو يحب كلبته ..

لا يستطيع أن يستغنى عنها ..

ولم يبق إلا يومان وتنتهى مهمة الوفد المصرى .. سيسافرون
عائدين إلى مصر .. ولكنه لا يستطيع أن يترك باولاتاو .. إنه يتمنى
ولو أسبوعا آخر معها .. واستطاع فعلا أن يقنع العضو المنتدب بأن
يتخلف عن الوفد ويبقى أسبوعا آخر .. إن هناك بحثا اقتصاديا يريد
دراسته .. وضحك العضو المنتدب .. إنه يعلم لماذا يريد أن يبقى
مصطفى أياما أخرى .. ووافق .. وبقي مصطفى مع باولاتاو ..

ولكن هذه الأيام أيضا مضت ..

وهو لم يعد يستطيع أن يستغنى عن باولاتاو ..

ولا يستطيع أن يستغنى عن كلبته ..

سيأخذ كلبته معه إلى مصر ..

كيف .. ؟

ليتزوجه ..

كيف يتزوج من بنات الكيسنج .. لا يهم .. ان مصر لا تعرف شيئا
عن بنات الكيسنج .. ولا أحد يعرف باولاتاو .. ثم إن مصر مليئة
ببنات يستقبلن الضيوف العرب ويرقصن لهم ويقمن لهم الحفلات
ولا يسمين أنفسهن كيسنج ولكن يسمين أنفسهن بنات عائلات ..

وكان يقضى نهاره وليله وهو يفكر بصوت مسموع .. وأفكاره
المسموعة تنعكس ابتسامة على شفتي باولاتاو .. وأخيرا عرض عليها
بالإشارة أن تتزوجه .. أكثر من نصف ساعة وهو يشير بأصابعه
ويرتل موسيقى الزفاف حتى فهمت أنه يعرض عليها الزواج ..
وانطلقت فرحتها وانحنى تقبل قدميه .. وأشارت إليه بأنه يجب أن
يستأذن بيت الكيسنج .. يا كلبتي العزيزة انك ستكونين أسعد كلبة في
مصر ..

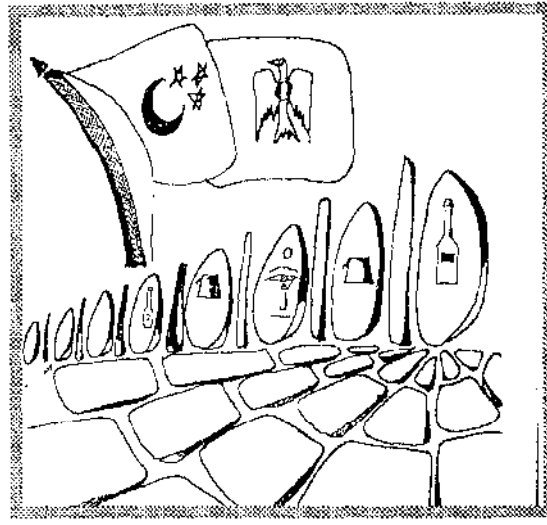
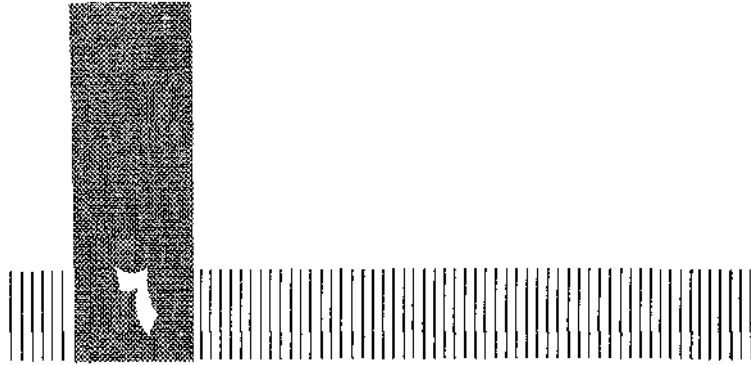
ووافق بيت الكيسنج على الزواج ..

أعفيت باولاتاو من تقاليد الكيسنج وغدا يتم الزواج المدني ..

وعادت معه إلى الفندق .. ولم تسقط تحت قدميه لتخلع عنه حذاءه
كما عودته ولكنها وقفت أمامه وتعلقت بعنقه وقبلته قبلة طويلة كأنها
تريد أن تستريح بين شفتيه بعد مشوار طويل ثم قالت بلغة انجليزية
سليمة :

— انها مفاجأة لم أكن أتخيلها أبدا .. أتزوج .. وأعيش في مصر .. و ..
وقاطعها مصطفى صارخا :

- انك تتكلمين الانجليزية ..
قالت باولاتاو في بساطة وقد أصبحت ابتسامتها الهادئة الخجولة
ابتسامة مرحة مبسطة :
- نعم .. إنى أتكلم الانجليزية .. ان دراستى كانت بالانجليزية ..
لقد درست الاقتصاد السياسى فى الجامعة .
وصرخ مصطفى وضربة المفاجأة تنطلق من عينيه :
- ولكنك لم تتكلمى .. الانجليزية أبدا من قبل .. لقد خدعتينى ..
وقالت باولاتاو وهى تنظر إليه فى دهشة :
- لم أخدعك .. ولكنك كنت معى وأنا امرأة من الكيسنج .. وتعاليم
الكيسنج لا تسمح لنا بأن نتكلم أى لغة أجنبية حتى نحفظ
بالأصدقاء فى جو كورى صرف حتى نحيطهم بالاحساس بكوريا ..
وقد أخذتنى من الكيسنج .. لم أعد مقيدة بهذه التعاليم ..
وعاد مصطفى يصرخ :
- لماذا لم تقولى لى ذلك من قبل ..
قالت باولاتاو وهى تنظر إليه كأنه جن :
- لم تسألنى .. وأو سألتنى لكذبت عليك .. إن مهمتى كانت أن
أعيش معك كفتاة من كوريا القديمة قبل أن تدخلها أى لغة أجنبية ..
والآن يا حبيبى مصطفى .. لقد كنت أشفق عليك من كثرة الكلام ..
كانت التعاليم تمنعنى من أن أشاركك كلامك .. أما الآن فسأريحك
من مهمة الكلام .. لن تتحمل المسؤولية وحدك .. سأتكلم أكثر منك
حتى أكفر عن ذنبى .. يازوجى العزيز ..
وارتفع صوت مصطفى يصرخ :
- لا .. لا .. لست زوجك .. لن أتزوجك .. ابعدى عنى .. ابعدى ..
ثم انطلق خارجا من الغرفة وجرى إلى مكتب شركة الطيران ليحجز
مقعدا له إلى مصر .. مقعد واحد له وحده ..



الزجاجات

الفارغة...

الزجاجات

الفارغسة

جلس الأستاذ إبراهيم أبو طالب في مكتبه منتظراً وصول الأستاذ
طلعت مهران وهو هائم في ذكرياته من خلف ابتسامة.

كل لحظة من وجهه تبتسم .

لقد مضى أكثر من عشرين عاماً يلتق خلالهما بطلعت لقاء خاصاً..
كانا لا يلتقيان إلا في المناسبات أو لقاء الصدف وكل منهما يكتفى بما
يسمعه عن الآخر.. وقبلها مضى أكثر من ثلاثين عاماً وهو يلتقى
بطلعت كل يوم.. منذ كانا في المدرسة الثانوية ثم في الجامعة ثم بعد أن
تخرجا وهما كأنهما أخوان يجمع بينهما دائماً فكر واحد وإن اختلفا
في المزاج.. كان الفكر الذي يجمعهما هو الفكر السياسي.. والمزاج
الذي يفرقهما هو أن إبراهيم أكثر تحراً اجتماعياً بينما طلعت أكثر
تزمناً ..

وقد أدى بهما فكرهما السياسي إلى الثورية وهما لا يزالان
طالبين.. كانا قد بدأ بمحاولة الاقتناع بالنظام السياسي القائم في
مصر.. حاولا الاقتناع بالنظام الملكي ومرت بهما أيام في الثلاثينيات
هتفا خلالها باسم الملك فاروق بالدستور واشتركا في عام ١٩٣٥ في
مظاهرات شعبية عنيفة تطالب بفرض دستور ٢٢.. وحاولا الاقتناع
بالاحزاب.. انضموا إلى شباب حزب الوفد وهتفا لمصطفى النحاس

باشا.. ثم تبخر اقتناعهما بالوفد وانضموا إلى حزب السعديين وهتفا باسم أحمد ماهر.. ثم تبخر اقتناعهما بحزب السعديين وبدأ يترددان على التنظيمات السياسية يبحثان عن نفسيهما في كل منها.. الإخوان المسلمون.. والحزب الشيوعي.. ومصر الفتاة.. و.. و.. وهما في كل ذلك لا يميلان في فكرهما السياسي إلا تصورهما لمستقبل مصر.. مستقبل بلا احتلال أجنبي وبلا فقر وبلا ظلم.. وقد انتهيا بفكرهما إلى أن هذا المستقبل لا يمكن أيّداً إلا بهدم الحاضر كله.. هدم النظام القائم وهدم الأحزاب والتنظيمات القائمة.. هدم كل ما هو قائم..

وأدى بهما رفضهما لما هو قائم إلى أن عاشا فترة يتحركان سياسياً وحدهما.. يقولان رأيهما لا رأى أحد آخر.. ويكتبان منشورات سياسية سرية ويستعينان بأصدقائهما الطلبة لتوزيعها.. وقد قبض البوليس السياسي على إبراهيم مرتين وقبض على طلعت خمس مرات.. فقد كان طلعت أكثر تفرغاً لفكره ونشاطه السياسي.. إلى أن بدأ ظهور حزب «مصر الحرة».. كان حزباً يرفض الماضي والحاضر ويمثل المستقبل وكل من فيه ليس له صفة سابقة.. ليس بينهم وزير سابق أو عضو سابق في حزب من الأحزاب.. كل صفاتهم هي البحث عن المستقبل..

وانضم إبراهيم وطلعت إلى الحزب الجديد الذي استطاع بتطرقه الوطني وجسارة مطالبه السياسية ونشاط تنظيماته أن يصبح قوة ثورية خطيرة.. واستطاع طلعت أن يبرز كشخصية سياسية داخل الحزب.. أصبح اسماً معروفاً شعبياً. أما إبراهيم فإن مزاجه المتحرر لم يجعله يتفرغ كل هذا التفرغ للحزب إنما بقي مكثفياً بأنه مع طلعت في فكره السياسي وفي جانب من نشاطه..

وقامت ثورة الضباط الأحرار..

ومع كل التطورات التي أعقبت الثورة ضاع حزب «مصر الحرة»

مع بقية الاحزاب والتنظيمات السياسية التي كانت قائمة.. وقرر إبراهيم أن يعزل نفسه عن نشاطه السياسى وتزوج وأنجب ابنه مصطفى وابنته نهى.. ولم يتوقف فكره السياسى ولكنه أصبح يختزنه ولا يعبر عنه.. وربما كان هذا هو ما أبعده عن صديق العمر طلعت مهران.. فطلعت لم يتوقف نشاطه السياسى ولكنه استطاع أن يبقى دائما شخصية سياسية محترمة من رجال الثورة ولو أنهم يعرفون انه لا يتجاوب معهم تجاوبا كاملا ، وكانوا أحيانا يستعينون برأيه، وفي فترة قبل أن يكون عضوا في مجلس الأمة بل انه قبل فترة أخرى أن يكون وزيراً دون أن يعرض نفسه للأسفاف السياسى.. بقى دائما نظيفا متعاليا محترما.

وجاء طلعت مهران وهب إبراهيم أبو طالب يحتضنه كأنه يحتضن شباب عمره.. وانطلق كل منهما يعيش ذكرياته إلى أن افاق إبراهيم من دخان الذكريات وبدأ ينتظر أن يفتحه طلعت بسبب هذه الزيارة بعد هذا العمر الطويل ..

وقال ابراهيم كأنه يقاطع طلعت في استرساله مع ذكرياته :

- فوجئت بك تسأل عنى وتمنيت خيرا ..

وقال طلعت ضاحكا :

- كما هى عادتنا منذ صبانا يشدنا الفكر السياسى احدنا إلى الآخر

وقد شدتني إليك فكرة .. فكرة سياسية طبعاً ..

وقال ابراهيم في دهشة :

- لقد تعودنا أن نعيش احداثا سياسية ولم نعد نعيش أفكارا

سياسية ..

وقال طلعت في حماس :

- لقد جاء اليوم الذى تسترد فيه حقنا في الفكر السياسى ..

وقال ابراهيم وهو لا يزال في دهشة :

.. كيف ..

وقال طلعت وقد ارتفعت درجة حماسه :

– من حقنا اليوم أن نعيد تشكيل حزبنا .. حزب مصر الحرة .. وقد
جئت إليك لتعود كما كنت عضوا في اللجنة التأسيسية للحزب ..
وسكت ابراهيم برهة ثم قال وهو يدقق النظر في وجه طلعت كأنه
لا يفهمه :

– هل استأذنت ..

وقال طلعت في استهجان كأنه يرفض هذا السؤال :

– استأذنت من ؟

وقال ابراهيم في بساطة :

– هل استأذنت الدولة ..

قال طلعت محتجا :

– ما دخل الدولة في هذا ..

وقال ابراهيم في هدوء :

– إن الدولة لا تزال هي دولة ثورة ٢٣ يوليو .. وقد ألغت دولة
الثورة الاحزاب ولا يمكن أن تعود الاحزاب إلا إذا سمحت بها الدولة
أي ثورة ٢٣ يوليو

وقال طلعت وقد استعاد هدوءه :

– لا تحصر فكرك في هذه الشكليات الرسمية .. وأنت تعرف أن
ثورة ٢٣ يوليو أخطأت في تفسير وتشكيل نفسها فالضباط الأحرار
لم يخلقوا الثورة ولكنهم كانوا القوة التنفيذية للثورة التي قررتها
أحزاب وهيئات مدنية أي قررها الشعب .. الضباط الأحرار كانوا
سلطة الجيش والجيش سلطة تنفيذية .. أي أن الجيش – مثلا – ليس
من حقه أن يعلن الحرب ولكنه السلطة التنفيذية التي تنفذ قرار
الحرب .. والثورة كالحرب يجب أن يبقى الجيش بالنسبة لها سلطة

تنفيذية ولا يجمع في نفسه كل السلطات كما حدث في ثورة ٢٣ يوليو.. وقد عجزنا أيامها عن أن نضع الثورة في وضعها الطبيعي ونعيدها إلى السلطة التي اتخذت القرار ولا نتركها في يد السلطة التي نفذت القرار .. والآن .. وبعد كل هذه السنوات الطويلة إستطعنا أن نضع الثورة في وضعها الطبيعي .. وعودة الأحزاب الثورية القديمة إلى فكرها ونشاطها السياسي هي عودة ثورة ٢٣ يوليو إلى وضعها الطبيعي ..

وقال ابراهيم وهو يبتسم ابتسامة مسكينة كأنه يترحم بها على الماضي :

-إننا عندما اقمنا حزبنا .. حزب مصر الحرة .. لم يكن أحد قد طلب منا إقامته ولم نستأذن أحدا لأقامته .. كانت فكرتنا .. وكانت إرادتنا .. لا فكرة ولا إرادة الدولة .. والدولة سبق أن ألغت الأحزاب وعادت الدولة بعد خمسة وعشرين عاما وسمحت بإقامة الأحزاب .. وبهذا لا يمكن أن تسمى أحزابا سياسية إنما تسمى مؤسسات سياسية أو دوائر سياسية أو مصلحة سياسية كباقي المصالح الحكومية ..

وارتفع صوت طلعت وهو يقول في حدة :

-إننا حتى عندما أقمنا الحزب قبل الثورة كان يجب أن نبلغ وزارة الداخلية أى الدولة حتى تسمح لنا بحرية الاجتماعات .. ولماذا لا تسأل نفسك عن السبب الذى دفع الدولة إلى السماح بإقامة الأحزاب السبب هو انها تستجيب لتيار شعبى لم يعد يطبق الحكم الفردى ولا الحزب الواحد .. أى أن الدولة لا تشرع الأحزاب ولكنها تنفذ إرادة شعبية بإقامة الأحزاب .. ثم لماذا نتمسك بهذه الاشكال الرسمية سواء كان قد طلب منى إقامة الحزب أو كان على أن أستأذن فى إقامته فالمهم هو ما أريده أنا .. هل أريد أن أعيد حزب مصر الحرة

أم لا أريد فإذا أعدته فما دخل الدولة به .. انى حر بالحزب بعد ذلك ..
وقال ابراهيم دون أن يفقد هدوءه :
- إن الدولة تشترط شروطا لإقامة الأحزاب .. وصاح طلعت :
- ومتى لم تكن هناك شروط .. هل كنا زمان نستطيع أن نعلن أن
حزب مصر الحرة هو حزب شيوعى أو حزب جمهورى ..
وقال ابراهيم بسرعة :
- ولهذا كنا ثوارا وكنا نريد الثورة لنطلق الحريات ومن بينها
حرية إقامة حزب شيوعى أو حزب جمهورى ..
وقال طلعت وقد بدأ صوته يهدأ كأنه مصمم على اقناع ابراهيم :
- كن ثائرا كما كنت .. وأنا أعلم أنك لست شيوعيا أولست ملكيا
فتعال معى نعيد إقامة حزبنا ونسعى به إلى إطلاق الحريات ومن
بينها تكوين الحزب الشيوعى والحزب الملكى ..
وقال ابراهيم وبين شفثيه ابتسامة ساخرة :
- لن نستطيع شيئا ..
وقال طلعت فى غيظ : لماذا ؟
وقال ابراهيم : لاننا لن نكون أبدا قوة ..
وعاد طلعت يصرخ فى غيظ :
- لماذا لن نكون قوة ..
وقال ابراهيم وهو أشد سخرية :
لأن الدولة إذا سمحت بتعدد الأحزاب فليس معنى هذا إنها تسمح
بتعدد القوى بحيث تهدد كل قوة الأخرى .. لن يكون هناك أبدا إلا
قوة واحدة .. قوة نظام الحكم القائم ..
وقال طلعت فى قرف : عدنا نتمسح فى الدولة ..
وقال ابراهيم :
- هذا ما سبق أن حدث بعد أن سمح بتعدد الأحزاب فقد كان حزب

الوفد يمكن أن يمثل قوة وكان الشيوعيون يمكن أن يمثلوا قوة
فقضى على القوتين بقرار .. بكلمة ..

وقال طلعت وهو يزفر أنفاسه في ضيق :

- لقد كان الوفد والشيوعيون يمثلان اتجاهات ممنوعة ومحرمة
سياسيا أما نحن فاتجاهنا السياسى معترف به ..

وقال ابراهيم في هدوء :

- من ضمن الاتجاهات الممنوعة والمحرمة هو الاتجاه إلى تعدد
القوى السياسية .. أقصد القوى الشعبية ..

وقال طلعت وهو يزفر أنفاسه :

- لنجرب ..

وقال ابراهيم وكأنه بدأ يبتعد بفكره :

- نجرب ماذا ؟

وقال طلعت : نجرب أن نكون قوة شعبية يمكن أن نصل بها إلى
الحكم .. ولا يهم إذا استطاعت الدولة أن تقضى علينا ..

وقال ابراهيم :

- هذا عبء كبير لا أستطيعه لا أنا ولا أنت بعد أن وصلنا إلى هذه
السن ..

وقال طلعت وغيظه يشتد :

- إن فؤاد سراج الدين الذى حاول كما تقول أن يكون قوة وصل
إلى السبعين من عمره ..

وقال ابراهيم وهو يهز كتفيه بلا مبالاة :

- لهذا كان من السهل إلغاء وجوده دون أن يتحرك أحد لنجدته ..

كانت قوته قوة ذكريات العجوز لا قوة واقع الشباب .

وعاد صوت طلعت يرتفع محتدا: حدثنى بصراحة .. هل تريد أن

تعود للحزب أم لا تريد ..

وقال ابراهيم وهو يفتح عينيه كأنه يريد أن يواجه طلعت بالحقيقة:

— بصراحة إن الحزب لا يمكن أن يعود.. تذكر كيف كنا عندما اقمناه.. كنا شبانا كل خلجة من خلجاتنا تنبض بحرارة الشباب وقوة اندفاع الشباب.. وكنا ثوارا.. كان الحزب ثورة.. حزب يرفض الواقع ويرفض كل ما هو قائم.. والآن .. أين شبابنا.. ولى.. ثم اننا اليوم لا نؤمن بثورة ولا نتطلع إلى ثورة.. اننا نعيش الواقع بكل كيائنا وكل فكرنا ومهما كان لنا من معارضة أو فقد فهي مجرد معارضة ونقد وليست ثورة.. فكيف تريد إعادة الحزب .. من الاكرم لنا أن نحفظ بذكرياته على أن نعيده جثة..

وصاح طلعت غاضبا :

— لا تحكم على بما تحكم به على نفسك.. اننا لست عجوزا حتى وأنا في الستين.. أن تيتو لا يزال يقود ويحكم ثورة من أقوى ثورات الانسانية رغم انه تعدى الثمانين من عمره . وقاطعه ابراهيم :

— لو أن تيتو حاول أن يبدأ ثورته من جديد الآن لما استطاع ولكنه يستعيد قوته من قوة استمرار الثورة واستمرار التنظيم واستمرار الحزب.. وكذلك أنور السادات فهو أيضا يعتمد على قوة الاستمرار.. لم يمر بمرحلة موت سياسى كما مررنا نحن وحزب مصر الحرة .

وقال طلعت في عصبية :

— إن سعد زغلول بدأ الحزب وهو في الستين .

— إن سعد زغلول لم يبدأ حزبا ولكنه بدأ بهيئة مفاوضات ولذلك سميت الوفد المصرى وبلا تعمد من سعد زغلول انطلقت ثورة ١٩٢٠ وانتقلت هيئة المفاوضات إلى حزب .. لولا الثورة لما استطاع سعد

زغلول بعد هذا العمر أن يبدأ في إقامة حزب.. نحن عواجيز السياسة
يا طلعت..

وصاح طلعت :

— هذا رأيك في نفسك أما أنا فما زلت أعيش كل شبابي
السياسي.. ثم من قال لك أن شرط قيام الحزب هو أن يكون حزبا
ثوريا.. هل كل حزب في العالم هو حزب يدعو إلى الثورة أو حزب
يرفض الواقع .. لماذا لا نكون مجرد حزب معارضة.. معارضة بناءة..
أى نشترك في البناء.. ونفيد بأفكارنا وتجاربنا ومستوانا في الازمات
التي يعيشها الشعب.. أزمة الفقر.. أزمة المواصلات.. أزمة
التليفونات.. هذه هي المهمة الوطنية الأولى ..

وقال إبراهيم في هدوء :

— هذه مهمة الدراسات الجامعية أو المجالس المتخصصة أو
اللجان البرلمانية وليست مهمة الاحزاب ..

وقال طلعت وهو يقهقه ساخرا:

— مهمة الاحزاب في رأيك هي الثورة.. اليس كذلك ..وقال ابراهيم
الهاديء :

— المهمة الاساسية للحزب هي الوصول إلى الحكم حتى يحقق
أهدافه التي قام من أجلها سواء وصل إلى الحكم بثورة أو عن طريق
دستوري.. وأنا شخصيا لا أريد أن أصل إلى الحكم ..

وقال طلعت وهو ينتفض واقفا :

— أنت ميئوس منك.. سلام عليكم..

وقال ابراهيم وهو يقوم محييا ضيفه :

— أنا اعتبر نفسي قد أصبحت من جيل المتفرجين.. والمتفرجون
أكثر جرأة في ابداء رأيهم دائما نخيرة المسرح التي تحدد مصيره..
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. لاتنس شبابنا..

وجلس الاستاذ ابراهيم أبو طالب هائما وقد عادت إليه كل ذكريات شبابه السياسى من خلال ابتسامته الواسعة ودخل إليه ابنه مصطفى أبو طالب وهو شاب فى الثانية والعشرين من عمره طالب فى السنة النهائية بكلية الهندسة وقال مصطفى فى لهفة :

— هل كان عندك طلعت مهران.. وقال ابراهيم وابتسامته تملأ كل وجهه :

— نعم.. انه صديق قديم وقد سبق أن حكيت لك عنه..

وقال مصطفى الملهوف :

— لقد نشرت الصحف انه سيقم حزبا سياسيا.. هل عرض عليك

الانضمام إلى هذا الحزب.. وهل قبلت .

وقال ابراهيم وهو يستريح من ابتسامته :

— عرض .. واعتذرت ..

وتساءل مصطفى فى دهشة كأنه لا يصدق :

— لماذا ..

وقال ابراهيم وهو يهز رأسه كأنه نادم على حاله :

— لأنى لا اعتقد أن الاحزاب يمكن أن تقوم على الكلام وأنا لم أعد

استطيع إلا الكلام .

وقال مصطفى :

— ولكنك كنت معه فى الحزب القديم ..

وقال ابراهيم :

— كان هذا أيام الشباب.. وقد كنت فى شبابه امارس رياضة

المصارعة ولكنى اليوم اكتفى بالفرجة عليها فى التلفزيون.. كذلك حالى

مع التنظيمات السياسية .

وسكت مصطفى طويلا وهو يقلب فى صفحات كتاب ثم انطلق

قائلا :

— بابا.. انى أفكر فى الانضمام لحزب .
ورفع إليه إبراهيم عينيه كأنه فوجئ ثم قال وهو يدير عينيه عنه :
— أنت حر.. ولكن لا تأخذ رأى .
وقال مصطفى فى عتاب :
— لماذا تريد أن تحرمنى رأىك ..
— وقال إبراهيم :
— حتى لا أتحمل معك المسئولية ..
وقال مصطفى وقد اشتدت لهجة عتابه :
— لكنك أبى ..
وقال إبراهيم دون أن يرفع عينيه إلى ابته :
— هذا رأىى ..
وصاح مصطفى :
— لماذا.. لماذا.. أريد أن أفهم .

ورفع إبراهيم عينيه إليه وقد بدأ صوته يخفت تحت رنة حنان :
— اسمع يا مصطفى.. لأنك ابنى لا تستطيع أن أعطيك رأيا حرا كاملا.. إن فكرى فيما يخصك مقيد بارتباطى بك بإحساس الابوة ومسئولية أبوة.. فإذا سألتنى أى حزب سياسى تختار فإن تفكيرى سينحصر فى مصالح الخاصة المرتبطة بمستقبلك.. سأقدر مدى تأثير اشتغالك بالسياسة على استعدادك لامتحان البكالوريوس.. وسأقدر أن اشتغالك بالسياسة قد ينتهى بك إلى السجن.. أو قد يحرمك من الوصول إلى وظيفة محترمة بعد تخرجك.. فإذا نصحتك بعد ذلك فقد انصحتك بالانضمام إلى الحزب الحاكم الذى يضمن لك مستقبلا عمليا ثابتا مع انى لست مقتنعا بهذا الحزب .. ونحن كذلك لم نكن فى شىءنا نستشير آبائنا فى نشاطنا السياسى.. بل كنا فى الواقع نتحدى آبائنا وكان هذا التحدى ارحم عليهم لأنه يعفيهم من

مستوليتنا.. فعندما كنت ادخل السجن كنت ادخل على مسئوليتي وأترك أبى يتهمنى بالهوس وهذا أخف عليه من أن يتهم نفسه بأنه شاركنى فيما أدى بى إلى السجن.. وهذه يا ابنى هى طبيعة الاجيال.. كل جيل يحمل مسئولية نفسه ويبنى لنفسه ويفكر لنفسه.. وقال مصطفى فى سخط :

— يا بابا لقد تغيرت الدنيا.. لم يعد ما بينى وبينك هو ما كان بينك وبين المرجوم جدى.. إننا لسنا أبا وابننا.. اننا أصدقاء.. هكذا عودتنى..

وقال إبراهيم ضاحكا :

— تغيرت المظاهر.. كنت أقبل يد أبى وقد أعفيتك من تقبيل يدي.. ولكن احساسى بك كان هو نفس مستوى احساس أبى بى .. أما الصداقة فهى مجرد أسلوب فى التربية اخترته لك .

وقال مصطفى وهو جاد لا يريد أن يضحك :

— بهذا الأسلوب أريد أن أسمع رأيك.. رأى الجيل القديم ..

وقال إبراهيم وهو يبتسم له كأنه يخفف عنه :

— لو انك نصحت نضوجا سياسيا كاملا لما احتجت إلى رأى الجيل القديم.. ان آراءنا وصلت بنا إلى عالم المستحيل.. اسمع يا مصطفى يا ابنى.. إن كل جيل يبدأ من مستحيل وينتهى إلى مستحيل.. وقد بدأنا نحن من مستحيل استطعنا أن نتخطاه وأن نهدم النظام الذى كان قائما.. هدمنا المجتمع السياسى والاجتماعى والاقتصادى وبنينا مجتمعا جديدا إلى أن وصلنا نحن بهذا المجتمع إلى مستحيل آخر.. مستحيل بالنسبة لنا.. لم تعد آراؤنا تصلح لتخطى هذا المستحيل .. مستحيل من نوع جديد فى حاجة إلى عقول جديدة.. وروح جديدة.. فى حاجة إلى الجيل الجديد..

وقال مصطفى كأنه يتعجل الوصول إلى ما يريد أن يقول :

— على كل حال انى أعرف رأيك مقدما ولعلك لا تمنع إذا قلت لك رأيي .. وقال إبراهيم مبتسما وكأنه يزهو بابنه :
— لا .. قل ..

وقال مصطفى فى جدية :

— انى أفكر فى الانضمام إلى حزب اسلامى ..

وصاح إبراهيم كأنه لدغ :

— لا .. مستحيل .. هذا ممنوع .. ان القانون يحرم قيام احزاب تستغل الدين ..

وقال مصطفى وهو يخطب على حافة مقعده بكفه :

— هذا ليس مجرد قانون انسه رأى ومن حقى أن أرفض هذا الرأى .. ولا أدري لماذا نرفض الملحدین بالدين كقاعدة سياسية كالشيوعيين ثم نرفض أيضا المؤمنین بالدين .. ولماذا نطلق حكما عاما على كل من يفكر فى قيام حزب باسم الدين ونسميهم استغلاليين .. قد يكون بينهم استغلاليون فعلا ولكن بينهم أيضا مؤمنون بأن الدين هو الملهم الأساسى لتخطيط قيام الدولة .. ثم إن أخطر عدو يهددنا اقامة دولة دينية عنصرية .. اسرائيل .. وبلغ من قسوة اصراره على فرض تعاليم دينه أن جعل الرئيس الأمريكى كارتر يستشهد فى خطبه بالتوراة .

وجعل التوراة كأنها وثيقة عقود عقارية فكل إشارة فيها إلى قطعة أرض تصبح من حق اليهود .. وقال الأب فى أسف كأنه يرثى عقلية ابنه :

— وأنت تريد أن تجعل من مصر دولة عنصرية ..

وقال مصطفى منطلقا فى حماسه :

— لا .. إذا قام حزب اسلامى فيجب أن يقوم حزب مسيحى ..

كالحزب الديمقراطى المسيحى فى إيطاليا ..

وقال إبراهيم في مرارة:

— وحزب يهودى أيضا .

وقال مصطفى متحديا :

— إذا لم يكن مرتبطا بإسرائيل أو يتلقى تعليمات إسرائيل كما

تتلقى الأحزاب الشيوعية تعليمات موسكو .

وقال الأب وهو يشد أنفاسه كأنه يستعين بالله .

— يا ابنى.. ان الدين دعوة .. ومهما شمل من قواعد ومبادئ

دنيوية فهو دعوة.. الذين يتولون أمر الدين هم دعاة.. وذلك يختلف

عن الحزب.. ان الحزب هو هيئة تحكم أو تسعى إلى الحكم وأعضاؤه

حكام وليسوا مجرد دعاة.. انظر إلى السعودية انها أكثر الدول

الاسلامية استكمالا لقواعد وتعاليم الاسلام ورغم ذلك فالمستولون

عن الدعوة في شكل جماعة هي جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر .

ورد الابن بسرعة قائلا :

— لو قام في السعودية نظام تعدد الأحزاب لاصبحت جماعة الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر حزبا سياسيا.. حزب الدولة .

وقال الأب في أسى :

— لا أظن.. وانى أقدر ما يؤدى بك وكثير من أبناء جيلك إلى مثل

هذه الاتجاهات ..

وقال الابن وكأنه لا ينتظر من ابيه رايًا يقنعه :

— ماذا ؟

وقال الأب :

— الفراغ.. الفراغ السياسى.. لقد ولدتم ونشأتم وليس أمامكم

ولا في بلدكم كلها إلا شخصية سياسية واحدة وهى جمال عبدالناصر

وليس لكم من مأوى سياسى إلا تنظيم سياسى واحد كان يسمى

شخصية أخرى يلجأ إليها وتضمه إلى جماعتها.. لا يجد إلا الله..
ويتفرغ للدين.. ثم يحاول أن يجد في الدين تنظيماً سياسياً يغنيه عن
الاتحاد الاشتراكي ثم يبحث لهذا التنظيم عن شخصية تغنيه عن
جمال عبدالناصر.. هذا

ما حدث لكم ..

وسكت مصطفى برهة ثم قال :

— ربما.. فقد تفرغت للدين أكثر بعد أن فقدت ثقتي بعبدالناصر..
كنت اتقرب إلى الله لعله يهدي عبدالناصر.

— وقال الأب وقد بدا ظل ابتسامة على شفثيه كأنه يأمل في أن
يقنع أبنه :

— اذن أنت مطالب الآن أن تنتظر .

وقال مصطفى في لهفة :

— انتظر ماذا..

وقال الأب وقد اتسعت ابتسامته :

— تنتظر التجربة الجديدة.. تجربة تعدد الأحزاب وتعدد
الشخصيات لعلها تنتهي بك إلى رأي آخر وتصور جديد لما يجب أن
تكون عليه. وسكت الابن برهة طويلة ثم قال :

— أنت على حق.. سأنتظر.. أتدري أين سأنتظر.. سأهاجر إلى
أمريكا أو استراليا بعد أن احصل على الشهادة وانتظر هناك..

وقال الأب وقد عادت ابتسامته تنكمش :

— هذا اسوأ وأخطر ما تعلمتموه منا ..

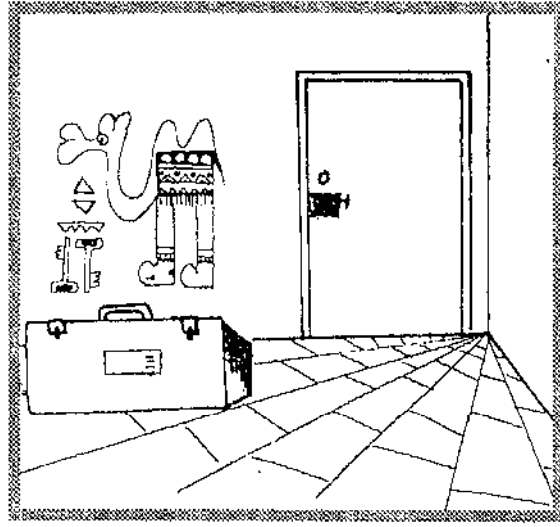
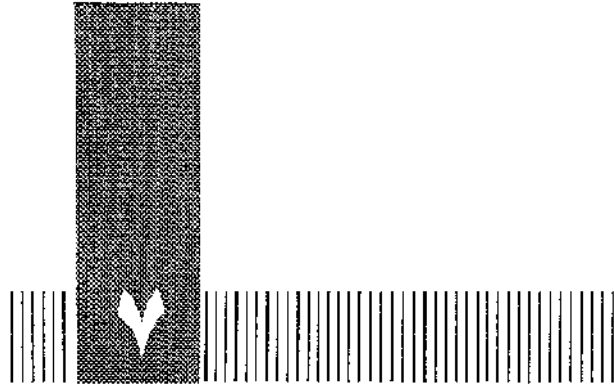
وقال الابن ساخراً :

— ماذا علمتمونا أيضاً :

وقال الأب وهو يحني رأسه في يأس :

— الهروب ..

تمت



قَبْلَ أَن تَخْرُجَ

الْحَقِيقَةَ مِنَ الْبَابِ

قبل أن تخرج الحقيقة

من الباب .. ؟

كانت سميحة جالسة على المقعد العريض في غرفة النوم تنتظر إلى زوجها محمود كأنها تهم أن تخنقه بعينيها وهي تجز على أسنانها كأنها تقاوم أن تقفز إليه وتعضه في عروق عنقه حتى تشرب من دمه ..

ومحمود واقف أمام السرير وقد وضع فوقه حقيبة مفتوحة يرتب فيها ثيابه التي ينقلها من الدولاب .. وهو هادئ .. يعتمد ألا تواجه نظراته زوجته سميحة ..

ثمَّ محمود يده إلى الدولاب وأخرج قميصا حريريا وردى اللون وهم أن يضعه داخل الحقيبة المفتوحة .. وصرخت سميحة :
..إلا هذا .. إن هذا القميص اشتريته لك بنفسى ولم أطلبك بئمنه ..
دفعت أنا الثمن من مرتبى .. من فلوسى ..

وفي هدوء وبساطة رفع محمود القميص قبل أن يضعه في الشنطة وأعادته إلى الدولاب دون أن ينطق حرفا .. وغامت سميحة واقفة واقتربت منه وقالت وقد خففت من صوتها .. أصبح صوتا ناعما .. وخففت من نظراتها .. أصبحت نظرتها متوسلة :

.. هل تذكر يوم اشتريت لك هذا القميص .. كنا سنسهر ليلتها عند خديجة .. ويومها مررت على مكتبى لنعود معا إلى البيت .. وفي الطريق

رأيت هذا القميص .. لونه .. هذا اللون الوردى .. لون لم أراه على رجل أريد أن أراه عليك .. انه سيبدو أحلى وأزهى من سمرتك .. ودخلت الدكان دون أن تنتبه واشترت القميص دون أن أسألك رأيك وخرجت لأجرك واقفا على الرصيف تبحث عن بعينيك في حيرة .. وعندما عدت إليك كدت تصرخ في وجهي .. ولكني أشرت إليك كأنني أحمل سرا خطيرا .. مفاجأة .. لا تتكلم إلا أبعد أن نصل إلى البيت .. وعندما رأيت القميص كدت تطير من الفرحة وإن كنت حاولت أن تبدو كأنك تفهم أكثر منى في القمصان وأذواق القمصان ، وأمضيت أكثر من نصف ساعة وأنت تقلب في القميص وتلوى شفطيك ثم تفردهما قبل أن تقبلنى وتقول لى مرسى يسمع ..

ومحمود ينتقل بين الدولاب والحقيبة المفتوحة فوق السرير دون أن ينطق بكلمة ..

وعادت سميحة وألقت نفسها فوق المقعد العريض واستطردت وبين شفطتها ابتسامة ضعيفة كأنها تتحسر بها على نفسها :

- الحقيقة كنت يومها أريد أن أتعايق بك أمام خديجة في سهرتها .. وأمام كل من كان هناك .. انى أحب دائما أن أتعايق بك .. أن أزهو بك.. وفجأة عادت سميحة تصرخ وهى تنتفض فى جلستها :

- لن أسمع لامرأة أخرى أن تتعايق بك وأنت ترتدى هذا القميص فاهم .. لن أسمع لك ..

وقال محمود فى هدوء :

- القميص فى الدولاب وسأتركه لك ..

وقفزت سميحة واقفة واقتربت منه وهى تصرخ :

- قل من هى .. يجب أن أعرف ..

قال محمود :

- من هى من ..

وقالت سميحة وهى ترفع زجاجة العطر التى كان محمود قد وضعها فى الحقيبة وتلقى بها على الأرض :
- المرأة الأخرى التى تطلقنى من أجلها ..
وقال محمود وهو ينحنى فى هدوء ويلتقط الزجاجة من على الأرض:

- ليست هناك امرأة أخرى .. قلتها لك ألف مرة ..
قالت سميحة وهى تغطى عينيها بكفيها كأنها تحبس دموعها قبل أن تنطلق :

— لن أصدقك ولو قلتها مليون مرة .. انى أعرفك .. ان أضعف ما فىك هو احساسك بالمرأة .. كل الأنواع .. تحب أن تجرب كل من تعجبك حتى مع اختلاف ما يعجبك فيها .. إذا أعجبك حديث واحدة فأنت تريد أن تجرب كيف تنام هذه المتحدثة .. وإذا أعجبك طهو امرأة فأنت تريد أن تجرب هذه الطاهية فى الفراش .. حتى صديقاتى .. هل تظن أنى لا أدري ما كان بينك وبين نعمات .. الدكتورة نعمات .. لقد بدأت بإعجابك بها كطبيبة .. ولاحظت أن إعجابك بها يتزايد .. ربما تمنيت أيامها أن تعود طفلاً لأنها طبيبة أطفال .. ثم عرفت انك التقيت بها فى شقة صديقك عثمان .. خديجة قالت لى .. هل تنكر .. اعترف ..
قال وهو يهز كتفيه فى برود :

- مادمت تعرفين فما حاجتك إلى اعترافى ..

وعادت سميحة تقول وهى تروح وتجىء بخطوات عصبية :
— وقاطعت نعمات لتظهر بعدها مرفقة .. لقد بدأ إعجابك بها ك مترجمة .. مترجمة كتب ومترجمة فوريه إلى أن ترجمت لك نفسها وجسدها فى شقة صديقك عثمان .. انك تنسى أن عثمان هو ابن عم خديجة وهو يقول لها كل شىء .. ومن يدري لعلك جربت كل صديقاتى .. ماعدا خديجة طبعاً .. لم تترك لى صديقة أثق فيها إلا

خديجة .. وتوقف محمود عن جمع حاجياته ورفع عينيه إلى سميحة
وهم أن يتكلم ثم كأنه عدل وعاد يتنقل بين الدولاب والحقيبة .
وعادت سميحة تقول :

- كنت أصفح عنك دائما وأنسى .. كنت أقول لنفسى أنى أنا أيضا
أعجب برجال كثيرين غيرك .. هذا صحيح .. أن هناك رجال يشدوننى
إليهم شدا .. ولكنى لا أجرب من يعجبنى .. التجربة تكلف المرأة كثيرا
ولا تكلف الرجل شيئا .. أقصد المرأة النظيفة الشريفة .. لهذا أترك لك
حرية التجربة مادامت مجرد تجربة وتنتهى ودائما تبقى لى .. ولكنك
تفاجئنى الآن بأنى أنا أيضا لم أكن سوى مجرد تجربة بالنسبة لك ..
أردت أن تجرب كيف تكون الصحفية الناجحة وهى بين أحضانك ..
هل ستبدع كما تبدع فى التحقيق الصحفى الذى تنشره ..
وصاح محمود :

- هذا غير صحيح ..

واستطردت سميحة وهى تضحك ضحكة عصبية ساخرة :
- وانتهت التجربة .. تجربتى .. شبت من تجربتى .. لا بد أن هناك
تجربة أخرى فى انتظارك .. تجربة اشترطت عليك الزواج قبل أن
تبدأها .. البنج قبل إجراء العملية .. البسمة قبل الذبح ..
واندفع محمود نحو سميحة وأمسك بها من كتفها وأخذ يهزها
وهو يصيح :

- لا تقولى هذا الكلام .. لا تظلمى نفسك وتظلمينى معك انك لم
تكونى أبدا تجربة بالنسبة لى ..

وتركها من بين يديه وأدار لها ظهره وقال كأنه يحدث نفسه :
- لم تكونى تجربة .. التجربة كانت الزواج .. لقد عشنا الحب معا
سنتين لم أفكر خلالهما فى الزواج ولم أكن أعتمد أنك تفكرين فى
الزواج .. كل منا كان متزوجا مستقبلا .. أنت تزوجت الصحافة وأنا

تزوجت الهندسة .. وما بينى وبينك ليس الزواج ولكنه الحب .. الآن أعرف أنه لم تولد فتاة لا تفكر في الزواج .. الرجل قد يكتفى بالحب ولكن البنت أبدا .. لا يمكن أن تكتفى إلا بالزواج .. انه عقد ايجار بطنها حتى تصبح أما والرجل لا يؤجر بطنه ولا يهمله أن يكون أبا .. ورغم ذلك قلت فلأجرب الزواج .. وقالت سميحة في ذهول :

- وفشلت التجربة ..

وقال محمود في صوت خفيض :

- أعتقد ..

. وصرخت سميحة :

- لماذا .. ماذا ينقصك .. خمس سنوات مرت على زواجنا والتاس تحسدنا على ما نحن فيه .. ويحسدونك على زوجتك أكثر مما يحسدوننى على زوجى .. العالم كله ينادى بى كزوجة مثالية .. والآن بعد كل هذا تفاجئنى بالطلاق .. لماذا .. لماذا .. ماذا تريد أكثر .. ماذا ينقصك ..

وقال محمود في هدوء :

- حاولى أن تفهمينى يا سميحة .. ان تفهمى ما أحس به وما أعانيه انى منذ تزوجنا وأنا أحس كأنك وضعتينى في حلة من حلل المطبخ ووضعت الحلة فوق وابور البوتاجاز .. نار هادئة .. تطبخيننى .. تجعلين منى شيئا آخر له مذاق خاص .. يفتح نفسك وتستطعمينه .. لا .. لست أنت .. انه الزواج نفسه .. لقد بدأت أحس بالزهق والملل يزحفان على .. ثم بدأت أشعر أن هذا الزهق وهذا الملل أصبحا أقوى منى .. بدأت استسلم لهما كأن هذا هو نصيبى في الحياة .. ورضيت بهذا الروتين الذى نعيشه .. حتى فراشنا أصبح كدرج المحفوظات .. أو أصبح كجدول الضرب معروف مقدما ما يحدث فوقه .. كل يومين ونضحك كثيرا إذا أخطأنا الحساب وأضفنا يوما على جدول الضرب ..

نضحك كأننا كنا نتبادل نكتة .. وتقولين .. «البطارخ فعلت مفعولها»
 وأتذكر الأسطى عباس الطباخ الذى كنت أضبطه يدخن سيجارة
 حشيش فى مطبخ بيت والدى ويقول لى .. «الليلة ليلة الجمعة ويلزمنى
 نفسين حتى أمتع زوجتى حميدة .. دى مسئولية ياسى محمود» ..
 ربما عندما أصل إلى سن الأسطى عباس سأضطر أنا الآخر إلى تدخين
 سيجارة الحشيش حتى أتحمل المسئولية .. وأحاديثنا أيضا أصبحت
 روتيننا مملا .. انى أعلم دائما ماذا ستقولين قبل أن تتكلمى .. وعودت
 نفسى على أن أسمع وأسكت .. مالى أنا وحكايات الصحافة .. وقد
 حاولت أن أرد عليك بالكلام عن عملى .. ولكن مالك أنت وحكايات
 المهندسين .. فلم أعد أتكلم .. وأنت تقولين أنك تعرفين تجارى مع
 صديقاتك .. هل تعرفين متى بدأت هذه التجارب .. بعد ثلاث سنوات
 من زواجنا .. قبلها كنت مستسلما للزهق والملل ولكنى اكتشفت أن
 هذا الاستسلام بدأ يؤثر على أسلوب تفكيرى فى عملى .. فى فنى .. بدأت
 أصبح مهندسا موظفا لا مهندسا فنانا .. خالق .. وثرث على نفسى ..
 قررت أن أسترجع شخصيتى القديمة .. شخصيتى قبل الزواج ..
 فبدأت أجرب قيمتى مع النساء .. هل لازلت فالنتينو ..
 وقاطعته سميحة صارخة :

- انك قبل الزواج كنت مخلصا لى .. إنى متأكدة أنك كنت كلك لى ..
 لم تشاركنى واحدة فيك ولو لمدة ساعة .. ولهذا تزوجتك ..
 وقال محمود فى هدوء :

- لأنك أيامها كنت تغنينى عن التجارب .. لم يكن بيننا زهق
 ولا ملل .. كنا أحرارا .. أنت حرة وأنا حر .. وكل لقاء لنا كان مغامرة
 .. مغامرة حلوة مثيرة .. لم نكن نعلم مقدما ما سيجرى بيننا .. ولم
 يكن كل حديثك عن عملك وكل حديثى عن عملى .. كانت أحاديثنا
 خمرا تأخذنا بعيدا فوق .. فوق .. حتى ترتاحى من نفسك فى نفسى

وأرتاح من نفسي في نفسك ..
وقالت سميخة كأنها تهتم بالبكاء :
- محمود .. قلها بصراحة .. انك لم تعد تحبني ..
قال محمود وهو لا ينظر إليها :
- لا أستطيع أن أقول ذلك .. لأنني أعرف .. أنني لا أشكو منك ولكنني
أشكو من نفسي .. من الحالة التي وصلت إليها ولا ذنب لك فيها ..
قالت ساخرة في مرارة :
- الذنب ذنب الزواج .. هذا ما تريد أن تقوله ..
قال :
ربما ..
قالت : وهي تقترب منه وتعلق يديها على صدره :
- هل تريد أن تترك البيت وتبقى لي كما كنا قبل الزواج ..
قال وهو يرفع يديها عن صدره :
- لا ..
قالت ساخرة :
- لنفعل كالأخوات .. انفصال بلا طلاق ..
قال وهو يعود ويخرج من الدولاب قطعاً من ثيابه ويضعها في
الحقيبة :
- لا .. أريد أن أستر كل شخصيتي .. كل حريتي .. لا زواج ولا
حب .. وخطت سميخة خطوات منهارة ثم ألقت نفسها فوق المقعد
العريض وبقيت صامتة فترة ثم مدت يدها فوق مائدة الزينة
والتقطت حقيبة جلدية صغيرة تحوى أدوات الحلاقة وألقتها من بعيد
داخل حقيبة محمود قائلة :
- لا تنسى أن تأخذ معك علبة الحلاقة .. هل تذكر .. لقد اشتريتها
لك عندما أرسلتني الجريدة إلى لندن .. كان ذلك قبل الزواج .. هل

تذكر ..

وقال محمود وهو يزهد أنفاسه : - أنكر ..

وصمتت سميحة فترة ثم قالت :

- محمود قل لي : متى بدأت تفقد حبك لي .

قال محمود وهو مشغول بأعداد حقيبه :

- ليس هناك متى .. ان الحب ليس كقطار السكة الحديد يروح

ويجيء في مواعيد معينة .. لا يمكن أن أقول أنني فقدت الحب يوم

الثلاثاء ٢٥ أكتوبر الساعة الثامنة مساء .. ان الحب يذوب .. في شهر

أو في سنة أو قرن أو لا يذوب أبدا .. وصدقيني أنني لا أدري إذا كنت

قد فقدت حبك أو لم أفقده وإذا كان قد ذاب منه شيء أو لم يذب .. ان

كل احساسى هو احساس بنفسى .. لا شيء يمسك من احساسى ..

انى لا أكرهك .. لست غاضباً منك .. لا ألومك على شيء .. انها الحالة

التي نعيشها ..

قالت وهى ساهمة :

- الزواج ..

وسكت محمود ..

وعادت سميحة مستطردة :

- القلطة غلطتى .. لو أنى كنت قد حملت وأنجبت لما فكرت أنت في

الطلاق كما تفكر الآن .. لو كان لنا طفل لضمنت أن يربطنى بك إلى

الأبد .. ولكنى كنت عبيطة .. مغفلة .. قررت أن أوجل الخلف حتى لا

يشغلنى عن عمل وحتى أصل إلى مستوى النجاح الذى يكفينى ..

كنت أريد ابناً يفخر بنجاح أمه ونجاح أبيه ولهذا قررت أن أوجل

وصوله إلى أن نحقق أعلى مستوى النجاح .. وكنت أريد أن تنتظر

حتى نجمع دخلاً كبيراً ثابتاً نستطيع به أن نهب أولادنا حياة فخمة

مرفهة .. وكنت أنت توافقنى على كل ذلك .. كنت أكثر اصراراً منى على

عدم الخلفة .. وماذا كانت النتيجة .. حرمت نفسى من الأمومة

وضيعة نفسي كزوجة ..

- وقال محمود في برود :

- إذا لم أعش معك من أجلك فلن يشرفك أن أعيش معك من أجل

الأولاد ..

قالت سميحة صارخة :

- هذا هو الواقع .. كل الرجال سواء .. والنصيحة الشعبية

المعروفة هي النصيحة الوحيدة التي تحمي من هذا الواقع .. امسكي

زوجك من جيبه حتى يبقى مع نقوده .. ومن قوته حتى لا يبقى منه

شيء لامرأة أخرى .. ثم قيديه بالأولاد .. كنت أعتقد أنني أمسك بك

من عواطفيك .. من حبك .. ولكن .. مع السلامة يا حب ..

والتفت إليها وقال كأنه يشفق عليها :

- لا تنزلي إلى مستوى هذا الكلام .. ان هذه النصيحة الشعبية

أشبه بالمشروع الاقتصادي عندما كان الرجل هو كل اقتصاد البيت ..

هو الذي يعول المرأة .. والمرأة مجبرة أن تعيش معه وإلا ماتت من

الجوع .. وكان عليها أن تعيش في خبطة للاحتفاظ به .. أما نحن .. فأنا

لست رجلاً يعولك .. أنت في غنى عنى مالياً .. وأنت لست مجرد متعة

فراش كبقية النساء .. أنت أنسانة كاملة تعطين أكثر وأمتع مما يعطى

جسدك .. لهذا فمن حق كل منا أن يحتفظ بكيانه حتى لو انفصل به

عن الآخر ..

وقالت في غيظ وجدة :

- من يقرر الانفصال ..

وقال وهو ينظر إليها في تحد :

- لا تبدئي في الحديث عن الشرع والقانون وحقوق المرأة وحقوق

الرجل .. كنت أستطيع أن أطلقك قبل أن تعرفي وأرسل لك ورقة

الطلاق على يد البوليس .. ولكننا مستوى آخر من الناس .. مستوى

آخر من العقول التي وضعت للحياة شكلا جديدا .. وجئت اليك لأقول لك بكل بساطة ان تتطلق لأن الطلاق أمر بسيط .. أى واحد من اثنين لا يريد أن يعيش مع الآخر لا يمكن ان يعيش معه فقط لأنه لا يريد .. هذا هو ما تفرضه الشخصية الكاملة والشخصية لا تستكمل إلا بالاعتراف بحرية الآخرين اعتزازا بحريته هونفسه .. فأنت تعطينى حرية الطلاق اعتزازا بحريتك .. افترضى أنك أنت التي كنت فى حاجة الى الطلاق فماذا كنت تنتظرين منى ..

قالت بسرعة :

— أن ترفض ..

قال وهو يفلق الحقيبة فى عصبية :

— لو رفضت فكأنى أهين نفسى أمامك .. كأنى استجدى حريتك

.. حتى لو كان من حقى شرعا أن أرفض ..

وقالت سميحة وهى تقفز كأنها تهتم ان تقفز لتخذه :

— أنك تتحدث عن الطلاق كأن الزواج علاقة بين اثنين .. بين

الزوج والزوجة .. لا .. يجب أن تعرف أن الزواج علاقة بين هذين

الاثنين وبين المجتمع .. علاقة اجتماعية .. الفرق بين الزواج والحب ..

أن الحب علاقة بين اثنين أما الزواج فعلاقة اجتماعية .. ولهذا فالذى

يعطيه المجتمع للمتزوجين غير ما يعطيه للمحبين حتى لو أعلننا حبهما

على الناس وظهرأ به فى الشارع .

وقال محمود فى عصبية :

— المجتمعات المتقدمة المتطورة لم تعد تفرق بين الحب والزواج ..

ما دخل المجتمع اذا كان الرجل والمرأة متزوجين أو غير متزوجين ..

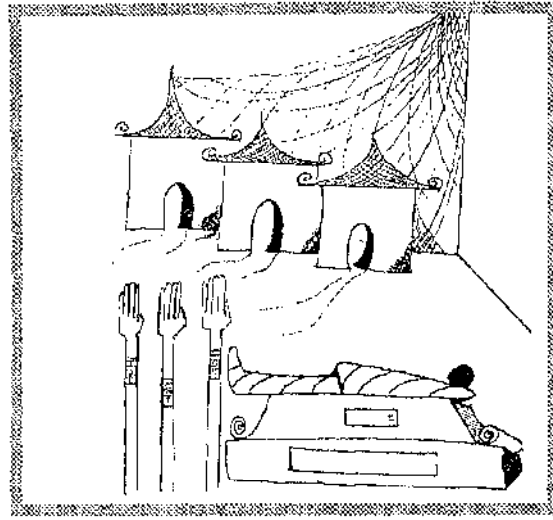
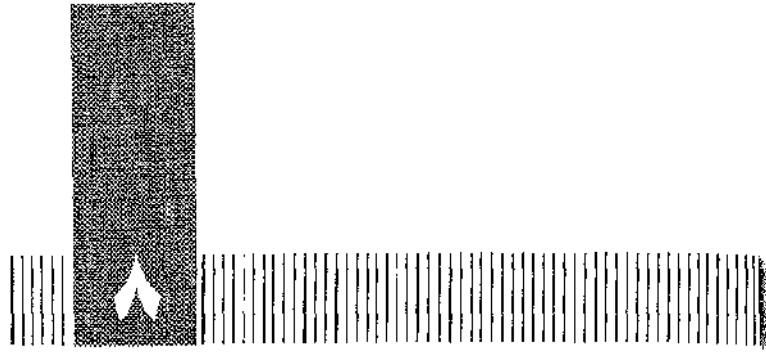
العلاقة دائما علاقة خاصة لا دخل للمجتمع فيها .. بل ان المجتمعات

الأكثر تقدما لم يعد يهمها صفة الأبوة .. لا يهم المجتمع ان يعرف من

هو الأب كل ما يهمه ان يعرف من هى الأم .. الأم هى الحقيقة الثابتة

أما الأب فهو دائما حقيقة تائهة .. الأب الحقيقى يجب ان يكون الدولة

التي تمتلك الملاجئ لتربى فيها الأطفال .
ورفع محمود الحقيبة في يده وقالت سميحة وهي تلتصق به
ودموع صامته تسيل على خديها .
— ماذا ستفعل الآن ..
قال وهو يضمها بعينيه في حنان :
— لا أدري ..
قالت وهي تلتصق صدرها بصدرة :
— وماذا أفعل أنا ..
قال :
— لا أدري ..
ورفعت ذراعيها وأحاطته بهما وقالت ودموعها تنهار :
— إننى أحبك يا محمود .. أنت تعرف إننى أحبك ..
وسكت محمود .. وهو لا يزال رافعا حقيبته في يده .. ولم يحاول
أن يقبلها أو يربت عليها .. إلى أن رفعت عنه ذراعيها فأدار ظهره لها
واتجه مع حقيبته إلى الباب .. ووقفت سميحة تنظر إليه وهي تمسح
دموعها بأصابعها وقد عادت حمى الغيظ تملأ عينيها .. وقالت قبل
أن يخرج من الباب .
— محمود .. من آخر امرأة جربتتها ..
والتفت إليها وقال ساخرا :
— إننى أستطيع أن أقول لك من أول امرأة جربتتها ..
قالت مستسلمة للغيظ :
— من .. وقال وابتسامته الساخرة تتسع :
— صديقتك خديجة ..
وصرخت .. ثم ألقت نفسها على الفراش تكتم فيه صرخاتها ..



شباب

كلها تقوب

شبابك ..

كلها تقوب

هذه ليست قصة.. انه حادث كان يمكن أن أرويهِ كخبر صحفي.. ولكن لغرابته فضلت ألا أرويهِ كنص ما سمعته بل أرويهِ كما أتصوره.. وهكذا أنا دائماً.. لا أستطيع أن أهرب من خيالي.. ويضيع الصحفي مني في داخل الاديب .

● كان كل بلد أسافر إليه أسمع قصة.. وفي رحلتي الأخيرة سمعت قصة حافظ حمدي ..

ربما لم يكن اسمه - حافظ حمدي ولكن هذا هو الاسم الذي عرف به في مدينة «بانجوك» عاصمة تايلاند.. وهو مصري هاجر وأقام هناك.. ولا أحد يدرى متى هاجر.. إنه مصري مسلم تعترف به السفارة المصرية وهذا يكفي.. وهو معروف في بانجوك كلها.. انه رجل أعمال ناجح ووصل به النجاح إلى أن أصبح متصلاً بأهم الشخصيات في البلد.. وربما كانت اتصالاته خاصة بإدارة أعماله وتسهيل عمليات التصدير والاستيراد التي يقوم بها، وإن كانت هذه الاتصالات تبدو أحياناً أبعد من ذلك بكثير، كأن يتهم أكثر بتتبع التيارات السياسية داخل البلد، أو ربما كان يهمه دائماً أن يعلم أخبار القيادات العسكرية التابعة للجيش الأمريكي الذي كان يحتل تايلاند أو ربما كان يحسب دائماً حساب الحركة الشيوعية التي كانت تقوى

وتشتد داخل البلد حتى أصبح وصول الحزب الشيوعي إلى الحكم واكتساحه الانتخابات مسألة مفروغا منها، أو ربما كان يشترك في تثبيت النظام الملكي الذي يهتز ويكاد يقع بين كل يوم وآخر.. أو.. ولكن ..

المؤكد أن أقوى ما كان في حافظ حمدى هو إسلامه .. وبلغ أن قوة إسلامه أن أصبحت له شخصية شعبية بين المسلمين في تايلاند.. والمسلمون هناك قوة لهم خمس ولايات من ولايات تايلاند يمثلون فيها الاغلبية المقهورة الضعيفة أمام سيطرة البوذية.. وربما شد المسلمين إلى حافظ حمدى أنه مصرى يتكلم العربية.. لغة القرآن.. وهو عربى.. شعب النبى محمد ﷺ.. وكان يشاركهم الصلاة ويجلس اليهم كثيرا يفسر لهم القرآن ويشرح لهم السنة بلغتهم التى أصبح يجيدها.. وربما أقام معهم فترة في الحى الاسلامى خارج بانجوك، وهو حى أقيم فوق مستنقع كبير والبيوت فيه عبارة عن عوامات خشبية تقف على ركائز ثابتة مثبتة في قساع المستنقع.. وشوارعه تلال ضيقة من الطين تمر بين العوامات.. ورغم ذلك فهو حى يجمع شخصيات اسلامية محترمة وصلت إلى مراكز هامة في الدولة.. ومراكز المسلمين الهامة لا تتعدى الدرجة الثالثة بين المراكز فالضابط المسلم مثلاً لا يمكن أن يصل إلى رتبة لواء ولكن يمكن أن يصل إلى رتبة بكباشى .

المهم أنه رغم شعبية حافظ حمدى بين المسلمين فإنه لم يفقد صداقته القوية واتصالاته المستمرة مع الشخصيات البوذية.. بل ربما كان البوذيون يهتمون وكأنه ليس مسلماً.. بل كان يشاهد أحياناً وهو يصيب بعض أصدقائه المصريين إلى المعابد البوذية، وكان يؤدي أمامهم المناسك البوذية.. فيقف أمام تمثال بوذا ويهمس همسات لا يسمعها أحد ثم يصفق بيديه صفقات لها ترتيب خاص ثم

يركع ويحنى رأسه إلى الأرض كما يصلى المسلمون ثم يقوم واقفا
يضحك ويقول لاصدقائه :

— هكذا يصلى البوذيون ..

وكأنه ترجمان أمين يخدم زبائنه من السياح، وربما لو كان في
مصر لوقف في معبد الأقصر أمام تمثال حورس وعرض على السياح
كيف كان الفراغة يؤدون فريضة الصلاة .

وكل مصرى يسافر إلى بانجوك كان أول ما يسعى إليه هو لقاء
حافظ حمدى، بل إن وزارة الخارجية المصرية كانت توصى السفراء
ورجال السلك الدبلوماسى الذين يعيشون في بانجوك بأن يعتمدوا
على حافظ حمدى إذا احتاجوا لشيء أو للتعرف على الشخصيات
وجمع المعلومات . إنه يعرف كل شيء ويستطيع كل شيء.. وكان
حافظ يؤدى فعلا خدمات كثيرة للسفارة ولكثير من رجال الأعمال
المصريين أو مندوبى المؤسسات المصرية الذين يصلون إلى بانجوك..
ودائما بلا مقابل.. حتى كان يقال أحيانا انه يتقاضى عمولة من
الجانب الآخر، أو انه يعتمد أن يرفع الاسعار بالنسبة لكل عملية
خاصة بمصر ويحجز لنفسه فرق السعر . ولكنه كان مجرد كلام
لا يثبت منه شيء ولا يستطيع أحد من المصريين أن يستغنى بهذا
الكلام - حتى لو صدقه - عن خدمات حافظ حمدى..

وكان حافظ حمدى يقيم وحده في «فيلا» ضخمة بأرقى أحياء
بانجوك.. كانت مسكنه ومكتبه.. لم يكن متزوجا ولا يعلم أحد هل
كانت له زوجة قبل أن يهاجر إلى تايلاند أو لم تكن، وهل له أولاد أم
ليس له.. وعندما يسألونه يجيب وهو يضحك اجابات غامضة.. ورغم
ذلك فلم يكن معروفا بعلاقات نسائية ولم يكن يعيش حياة التهلك
الجنسى التى اشتهرت بها بانجوك.. لا يتردد على الملاهى الليلية أو
على حمامات «الساونا» التى تعرض النساء وراء فاترينات زجاجية



وتمر أمامها وتختار من تعجبك منهن لتقوم بغسلك وتدليكك وما هو أكثر.. وعندما كان يصل إلى بانجوك واحد من المصريين ويريد أن يتفرج على هذه الحياة وكلهم لا يكتفون بالفرجة - لم يكن حافظ يصحبه بنفسه بل كان يكلف أحد معاونيه بصحبته.. وكانوا يفسرون هذا التزمت الاخلاقي الذي يعيشه حافظ بأنه مغرق في اسلامه إلى حد التبتل.. لايلمس امرأة إلا بالحلال وبحكم الشرع ومادام هو غنى عن المرأة.. وربما كان هذا السلوك المتزمت هو الذي رفعه إلى مصاف شيوخ الاسلام بين مسلمي تايلاند وإزداد التفاهم حوله، وان كان هناك من كان يفسر تعقف حافظ حمدي بأنه وصل إلى سن التعقف.. انه قريب جداً من الستين .

وكانت تعمل في بيت حافظ امرأة بوذية.. ليست صغيرة ولكنها جميلة.. هذا الجمال الهادئ يترك عينيك تطوفان بين خطوطه في راحة وابتسامة اعجاب واستسلام لقدرة الله الذي خلق كل هذه الأنواع من الجمال وكل هذه الخطوط.. وكان اسمها «أوكشية» وكانت على الأرجح مديرة المنزل فهي تشرف على الحفلات التي يقيمها وتشترك في تقديم الشاي دون أن يقدمها حافظ لأحد من ضيوفه ودون أن تقدم نفسها لأحد.. تدخل وتخرج وتركع أمام الضيوف وهي تقدم لهم الشاي دون أن ترفع عينيها ودون أن تنطق بكلمة .. ليس هناك من سمع صوت أوكشية وهي تتكلم.. ومن طول ما عاشت أوكشية في بيت حافظ لم يعد أحد من أصدقائه أو ممن يعرفونه يهتم بها.. ولم تخرج أي إشاعة تربطها بحافظ فوجودها ليس غريباً وفي كل بيت من البيوت الراقية امرأة دائماً بوذية تقوم بالاشراف على الخدمة.. انها تكمل البيت كقطعة من قطع الأثاث..

فجأة .

مات حافظ حمدي..

ورغم المفاجأة فقد ثبت أن الوفاة طبيعية..
وأبلغت السفارة المصرية بالوفاة بعد المغرب .
وفي صباح اليوم التالي كان الخبر قد انتشر وتجمع كثير من
أصدقائه المسلمين وذهبوا إلى البيت لاعداد جنازة اسلامية تليق بقيمة
حافظ حمدى فى الاسلام .

ولكن ..

أين الجثة ؟

جثة حافظ حمدى ليست فى بيته .

اختفت .

سُرقت ..

وأبلغت السفارة المصرية ، وأرسلت السفارة مندوبا عنها ليتحقق
من الخبر وتأكد من أن الجثة قد اختفت فعلا .

أين أخفوها ؟

والمسلمون المتجمعون فى البيت بدأوا يتهامسون، والهمس يعلو
ليصبح زمجرة كأنهم تجمعوا فوق نار تشتد لتصل بهم إلى درجة
الغليان .

إلى أن تنبهوا إلى اختفاء الخادمة أوكشية .

أين أوكشية ؟

لو وجدوا أوكشية فقد وجدوا جثة حافظ حمدى..

وانطلقوا يبحثون عن أوكشية .

ووجدوها ..

أنها فى المعبد البوذى راکعة بجانب جثة حافظ حمدى ومن حولها
كهنة المعبد يرددون التراتيل ويمارسون التقاليد الدينية البوذية إلى أن
يقرروا موعد حرق الجثة بعد يوم أو يومين أو أربعة كما يريد أهل
المتوفى.. وليس حوله من أهله إلا أوكشية .

وفي بساطة تقدم ممثل السفارة وقال للراهب الأكبر أن الجثة جثة حافظ حمدي وهو مصري مسلم وليس بوذيا فليسمح باستعادة الجثة حتى يشيعها المسلمون .. ولكن لا .

الكهنة مصريون على أن حافظ حمدي بوذي .
ان عندنا ما يثبت انه مسلم فكيف تثبتون انه بوذي
وقال الكاهن :— ان كل من يدخل معبد بوذا فهو بوذي .. وقد دخل حافظ المعبد وهو حي ودخله وهو جثة .. أى جثة في المعبد جثة بوذا .

وأصر الكاهن على عدم تسليم الجثة .. ومن يدري .. ربما اشترك الكهنة أنفسهم في خطفها فإن أوكشية وجدها لا يمكنها أن تسرق جثة وتحملها وتنقلها إلى المعبد .
والمسلمون تجمعوا حول المعبد وقد وصلوا إلى درجة الغليان الثورة .. انهم يهددون بحرق المعبد بمن فيه إذا لم يتسلموا جثة حافظ حمدي .

وبدأ البوليس يتدخل بصد ثورة المسلمين .. وأسرع رجال السفارة المصرية واتصلوا بالمسؤولين .. انه مسلم بشهادة السفارة ويجب أن تسلم جثته للمسلمين .. والحكومة لايهمها أن يكون مسلما أو بوذيا ، وكل ما يهمها هو أن تتجنب ثورة الاسلام على البوذية .. ثم ان السفارة المصرية يجب أن تحترم ويرجح رأيها .
وأمرت الحكومة كهنة المعبد بالافراج عن الجثة .
وأفرج عنها الكهنة قبل لحظات من القيام بمراسم حرقها ولكنهم استمروا في أداء مراسم الموت اصراراً منهم على انه بوذي .
ورفع المسلمون جثة حافظ حمدي كأنهم يرفعون راية انتصار الاسلام ، وساروا بها في أكبر جنازة اسلامية شهدتها بانجوك .



وكانوا يتحدثون في السفارة عن اعجوبة حافظ حمدي.. لقد اغرق في التظاهر بالاسلام حتى يكسب المسلمين.. انهم قوة يستطيع بها أن يثبت شخصيته في سوق تايلاند.. السوق السياسية وسوق الأعمال وفي الوقت نفسه اقترب من البوذيين حتى اقتنعهم بأنه يؤمن بما يؤمنون وأنه أصبح بوذا.. ومن يدري ربما كان قد استأنزهم حتى يبقى محتفظا باسمه وبمظاهر ديانتهم كمسلم حتى لا يضار في مصالحه.

انها لعبة المتاجرة بالاديان أو النفاق الديني.. مع المسلمين مسلم ومع البوذيين بوذي ومع الكفرة كافر..

ولكن من يدري.. لعلها قصة حب.. عاشت معه أوكشييه كل هذه السنوات في قصة حب.. ولعل مظاهر تعففه وتحفظه وابتعاده عن المرأة الحرام لم يكن إيمانا منه بتعاليم الاسلام ولكن اكتفاء منه بحب أوكشييه وقد أحبها حتى عاش معها في ديانتها البوذية يفهمها ويمارسها حتى مع احتفاظه باسلامه.. وبعد أن مات لم تحتمل أوكشييه أن يأخذوا حبيبها بعيدا عنها.. تريد أن تعيش معه ميتا كما عاشت معه حيا.. فاختطفت جثته وعلها كذبت على الكهنة البوذيين واقنعتهم أنه بوذي فجاءوا يعاونونها على نقله إلى المعبد دون أن يعرفوا أنهم يرتكبون جريمة سرقة.. سرقة جثة.. ومن يدري.. لعل أوكشييه كانت تنوى الانتحار بعد أن تحرق جثة حبيبها لتحرق نفسها بعده وتلحق به.. من يدري.. بل لعلها انتحرت فعلا فلم يعد أحد يعلم عنها شيئا.

والكلام لا يسكت عن أعجوبة حافظ حمدي وبعضهم يستغلها ليثير الفتنة في البلد كله.. إن البوذيين سرقوا جثة مسلم حتى يثور المسلمون على البوذيين.

إلى أن حدثت المفاجأة الثانية.



لقد تلقت السفارة المصرية برقية مطولة من محام يدعى انه وكيل
زوجة حافظ حمدى ويطلب التحفظ على تركته وعدم المساس بها .
والبرقية صادرة من اسرائيل .
والمحامى يهودى..
والزوجة يهودية..
وحافظ حمدى نفسه يهودى ..
لا يمكن .

ولكن السفارة لا تستطيع أن تتجاهل هذه البرقية فقد وصلت
برقية أخرى بنفس المعنى إلى الجهات المختصة في حكومة تايلاند..
وتايلاند معترفة باسرائيل ولا تستطيع أن تتجاهلها أو تتجاهل
حقوق أفرادها كدولة معادية.. ولم تعد السفارة المصرية تستطيع أن
تستمر في اجراءات تصفية التركة بعد أن كانت قد بدأت فيها اعتقادا
بأن حافظ حمدى ليس له وريث .
وأرسلت السفارة القصة بكل تفاصيلها إلى مصر..
وتركت إدارة المخابرات المصرية تبحث عن حقيقة حافظ حمدى.
ووصلت المخابرات إلى الحقيقة.
انه فعلا يهودى.

وكان يعيش في مصر بنفس الاسم الذى يغطى به يهوديته.. حافظ
حمدى.. ثم هاجر من مصر هو وعائلته عام ١٩٥٥ قبل أن يقع
الاعتداء الثلاثى عام ١٩٥٦.. لعله كان يعرف أن شيئا سيحدث.. وقد
هاجر إلى فرنسا ومنها إلى اسرائيل وترك عائلته - زوجته وابنتيه -
هناك وهاجر هو إلى تايلاند.. وهو دائما محتفظ بجواز سفره المصرى
وكان يجده في السفارة دون أن يشك أحد فيه.. ولا شك أنه كان
يسافر إلى اسرائيل لزيارة عائلته حاملا جواز السفر الاسرائيلى ..
وسكنت السفارة المصرية في تايلاند .

لم تعد تستطيع شيئاً .
وجاءت زوجة حافظ حمدي من إسرائيل ومعها محاميهـا،
ولم يحاول المحامي الاتصال بالسفارة المصرية فقد وجدهـا لا تتدخل.
وصفيت التركية بعد أن تأكدت الحكومة أن حافظ حمدي يهودي
اسرائيلي وأن هذه زوجته .
ولم تكن تركة كبيرة فقد كان حافظ حمدي يحول أمواله دائماً إلى
الخارج .. وإلى إسرائيل .
والكلام لا يكف في كل تايلاند .
والمسلمون لا يصدقون الحكاية .. فهو مسلم .
والبوذيون لا يصدقون الحكاية .. فهو بوذي ..
حكاية اليهودي الذي يلعب بشبكة الاديان ويصطاد بها المسلمين
والبوذيين ولو احتاج لا صطاد بها المسيحيين .
إنها شبكة عريضة تسع العالم .. وكلها ثقوب.

تمت

رقم الايداع ٩٦ / ١١٦٣٦
الترقيم الدولى
I. S. B. N. 977 - 08 - 565 - 3

